

خالد محمد خالد

كما تحدث القرآن



الطبعة السابعة

جمادى الآخر ١٤٢٥هـ - أغسطس ٢٠٠٤م
القاهرة

جميع الحقوق محفوظة للناشر

دار المقطم للنشر والتوزيع

٥ شارع الشيخ ربحان - عابدين

القاهرة

تلفون: ٧٩٥٨٢١٥ - ٧٩٦٦١٠٩

فاكس: ٥٠٨٢٢٣٣

email: elmokatam@hotmail.com

مُتَكَلِّمَاتُ

في فبراير عام ١٩٦٢م صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب، وكان يمثل أول محاولة من جانبي للدراسات القرآنية المباشرة، ولم يكن - كما سيراه القارئ - يتبع المنهج التقليدي الذي يتناول القرآن العظيم عن طريق تفسير السور أو الآيات، بل كان يمثل نمطا آخر يتناول القرآن من خلال القضايا والموضوعات.

فهو - مثلاً - يعرض قضية «الإنسان العادي» رمز الكادحين البسطاء الودعاء، أو قضية «وحدة الدين»، أو سوامعا من القضايا التي تجدونها بين دفتي الكتاب، ومن خلال هذه القضايا بولي وجهه شطر القرآن الكريم، متتبعا آياته التي تضيء هذه القضايا بنوره، وتغطي احتياجاتها بحكمته.

ولقد كان العزم - ولا يزال - أن يكون هذا الكتاب بمثابة الجزء الأول، تتلوه عدة أجزاء.

بيد أنني بعد صدوره، نادتنني سير الخلفاء الراشدين، وسير الرجال الذين نهضوا حول الرسول... واستغرق تأليفها وإخراجها من الوقت ما شغلني عن متابعة كتاب [كما تحدث القرآن].

والآن ، وأنا أقدم هذه الطبعة الجديدة منه ، والتي تقوم بنشرها «دار المقطم» للنشر والتوزيع بالقاهرة ، يأخذني ذلك الحنين القديم إلى إتمامه ، ولا يكون ذلك إلا بتوفيق من الله وفضل .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن ييسرنا لليسرى ، ويتم نعمته وعافيته علينا ، ويهدينا سواء السبيل .

القاهرة : ١٩٩٤ م

خالد محمد خالد

مُقَدِّمَةٌ

حول مائدة القرآن، نلتقي اليوم ضيوفاً مباركين..

هذا الكتاب الذي وفد على الدنيا منذ ألف وأربعمائة عام، والذي ألقاه «روح القدس» على قلب الرسول محمد؛ ليكون من المنذرين، ﴿يَلْسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشراء: ١٩٥]..

ولقد اختلف ناس كثيرون حول هذا القرآن الكريم منذ اللحظة الأولى لمجيئه..

وحتى اليوم، لا يزالون يختلفون.

بيد أن الحقيقة التي لم يختلف فيها أحد، ولم يجعلها جاحد ومعه عقله، هي تلك المعجزات العظمى التي حققها القرآن، بما شاد من عالم، وبما رفع من قيم، وبما أضاف إلى الحضارة الإنسانية من أرصدة لا تفتنى، عن طريق الدنيا المسلمة التي أيقظها، وجمع شعثها، وأخرج خبثها النفيس، وجمعها تحت رايته وإيمانه.

فالإسلام بكل فتوحاته العقلية والروحية والحضارية، لا يذكر إلا ويذكر- قبلاً- هذا القرآن الذي كان مَعْقِدَ العزم، وموطن السر،

وجماع الطاقة .

هذا الكتاب الذي لم يخلف موعده مع القلة المؤمنة التي كانت ذات يوم بعيد تستخفي بإيمانها، وتهرب بحياتها من الشر المتربص بها في طرقات مكة ومنحباتها .

لقد وعدنا القرآن - يومئذ - أحلاماً تذهل من فرط خيالها الأحلام !!

لكن . . لم تكد الأيام نمضي حتى صار الحلم حقيقة، والخيال وثيقة، وإذا العقيدة المستخفية المرتجفة تأخذ مكانها فوق الشمس، وإذا الدنيا تدور في فلكها، وإذا بها تنجب الدعاة الربانيين، والحكام العادلين، والعباقرة، والفلاسفة، والعلماء . . ويتفيا الناس ظلالها أفواجا وزمرا، وتردد ملايين اللسنة، في عشرات الأقطار، آيات ذلك القرآن العجيب والكتاب الممين .

وهذه الصفحات التي تطالعها تحت عنوان «كما تحدث القرآن» لا نزع لم أنفسها أنها تقدم القرآن، أو تفسره، أو تنتظم بحثنا عنه - إنها تلقي السمع لا أكثر، وترسل البصر وراء موكب من آياته الباهرات .

إننا نقرأ الآية من القرآن فلا تلبث حتى تذكرنا بآية أخرى مماثلة لها، ثم تنادي الآية الثانية إلى خواطرنآ آيات أخرى كثيرات . . وإذا نحن آخر الأمر أمام قضية كاملة، كونت الآيات المبنوثة هنا وهناك كل عناصرها، وقالت فيها قولاً بليغاً .

ولقد أغراني هذا بأن أتبع بعض الآيات البيئات على هذا النسق .

فإذا آيات، يتحدث القرآن خلالها عن نفسه، وي طرح بنفسه كل ما

يدور حوله من أسئلة الشك واليقين .

وكانت هذه - الفصل الأول من كتابنا هذا .

ونادتني آيات أخرى ، وجدتها في النهاية تُنحي القوة عن طريق الحق ، وتضع المنطق والحجة والإقناع مكان التسلط والإكراه .

وكانت هذه - الفصل الثاني من الكتاب .

وسرت وراء مجموعة ثالثة من الآيات ، فإذا أنا أمام كل حقوق «المواطن العادي» يرسم القرآن في بهاء عظيم كل مبادئها الأساسية ، ويرفع بها راية البعث للجماهير الكادحة ، وللناس البسطاء الودعاء .

وكانت هذه - الفصل الثالث من الكتاب .

ثم بصرت بآيات تتبع القرآن بها مآسي الناس وكرباتهم وحاجتهم وشكاراتهم . . تتبّعها في حنان واهتمام ويقظة ، فبهرتني الطريقة التي يتلقى ويعالج بها تلك المشكلات .

وكانت هذه الآيات - الفصل الرابع من الكتاب .

ثم ألقىيت السمع وهو شهيد ، والبصر وهو منبهر وحديد ، إلى آيات سمعتها تعزف لحنا عجبا ، لحن «وحدة الدين» . . الدين واحد منذ أول داع إلى الله حتى محمد خاتم الأنبياء والمرسلين .

وكانت هذه - الفصل الخامس من الكتاب .

ثم دعاني المشهد الحافل ، حيث الأرض هناك غاصة بالأصنام المهشمة ، والأوثان المحطمة ، والأرباب الكاذبة المخلوعة ، والخرافات المشخنة ، وأدركت من فوري أنني أمام الأرض التي دارت عليها أعظم

معارك القرآن ، معركة «التوحيد» .

وعلى صدح الآيات التي تعلن وجود الله ووحدانيته ، كان الفصل السادس لهذا الكتاب .

عبر هذه الرحلة القصيرة الممتعة ، لم أحاول أن أخلع على الآيات معنى أريده ولم أكلفها غايات لا تريدها ، بل تركتها تقودني وحدها إلى غاياتها الباسلة الجليلة ، فإذا أنا أمام فتح عظيم مبين ، أتمه القرآن لحساب الإنسان . . لحساب عقله ، وكرامته ، وضميره .

ولقد يأذن الله ذو الفضل العظيم فنعود إلى متابعة هذه الرحلة التي يتحدث القرآن خلالها ، ونصني نحن إلى هذا الحديث .

ولقد أوحى إلى انبثاث الآيات وتفرقها في كثير من السور ، بينما هي حين تتجمع في مكان واحد أو سورة واحدة تكون قضايا مكتملة العناصر والسمات . . أقول : أثارت هذه الظاهرة في نفسي هذا السؤال :

- لماذا لم يُرتَّب القرآن نفسه ترتيباً موضوعياً ؟

فيجمع في سورة «النساء» - مثلاً - كل آياته التي تعرض قضية المرأة وحقوقها .

ويجمع في سورة «الشورى» كل ما قاله عنها .

ويجمع في سورة «الأنبياء» كل ما يريد أن يقوله عنهم . . وهكذا .

ولم أبحث عن الجواب طويلاً ، فسرعان ما أدركت في ضوء القرآن نفسه أن القرآن لم يرتب نفسه ترتيباً موضوعياً لسبب يسير ، هو أنه ليس كتاباً مؤلفاً .

أجل . . فلو كان القرآن كتاباً مؤلفاً لانتهج ذلك الذي لم يكن يؤوده أو يعجزه .

ولكن القرآن، هتاف بآيات الحق والهدى، يعطي المناسبة حقها في كل حين . ولو كان الرسول عليه الصلاة والسلام مؤلفاً للقرآن لعمد - ولو في آخر عهده بالدنيا - إلى ترتيب القرآن وفق المادة والموضوع .
ولكن الرسول لم يكن يؤلف القرآن، إنما كان يتلقاه .

وفي أسْمَى حالات التفتح الروحي، كانت الآيات البينات تهطل كالغيث بالهدى ودين الحق، ناقضة عن الضمير الإنساني غبار الجهل، وعمية الخرافة، ووطأة الرضوخ .

كانت ولا تزال تهدي للتي هي أقوم غاية، وأهدى سبيلاً .

خالد محمد خالد



الفصل الأول

عن نفسه

﴿يَذَكِّرُكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾

مائتان وثلاثون آية أو تزيد، تحدث القرآن فيها عن نفسه، وطرح
حلالها كل الأسئلة التي تتعلق به، وأجاب عنها.

ما هو؟

من أين جاء؟

ولماذا جاء؟

هل هو سحر؟ هل هو شعر؟ هل هو إفك مفترى؟ هل هو أساطير
الأولين؟

هل هو بقص لما سبقه، أم هو مصدق الذي بين يديه من الكتب؟

ولماذا لم يأت جملة واحدة؟

وهل جاء لقريش وحدها، أم هو ذكر للعالمين؟

وما موقفه من الدين ارتابوا فيه، والدين حاصموه ووبوا عنه مدبرين؟

عشرات الأمثلة طرحها لقرآن ناعا، وأجاب عنها في وصوح كما

جلى بها حقيقته وحكى بها قصته

وأول ما يلقاك حين تفتح المصحف هذه الآيات

التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿١٩﴾ مِنْ قَبْلُ هَذِي لِلنَّاسِ وَأَرْسَلَ الْفُرْقَانُ ﴿٢٠﴾

[آل عمران ٣ ١]

وإذا كانت التوراه والإنجيل الكتابان اللذان يتحدث عنهما القرآن -
ثم يكونا حرية ولا صلا لا، إنما كانا رحمة للناس وهدى، فكذلك القرآن
الذي جاء يتمم رسالة الكتب لسابقة والصادقة.

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ
تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ
مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس ٣٧]

وهذه - لدى القرآن حقيقة لا يسعي أن نعيب عن المؤمنين بكتب
السابقة إذ كانوا لا يحسون إيمانهم، ولا يحرفون الحقيقة أو يكرهوها

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مِنْ قَبْلِكَ
يُؤْمِنُونَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام ١١٤]

يبد أن هناك فريقا سيحمد إيمانه عند أحد الكتب السابقة، وحين
يُدعى إلى الإيمان بهذا القرآن سيكفر وبشي عظمه

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَرْسَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا
أُنزِلَ عَلَيْنَا وَنُكْفِرُوكَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا
لِمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة ٢٩]

والقرآن يرى في هذا الموقف إنكارا لقضية الإيمان كلها، فما دام هو
مصدق لما بين يديه من كتب فلماذا لا يشمل إيمان المؤمنين بها؟

وبعد - وهو في هذا الموقف بالذات يناقش كبار اليهود الذين حملوا

يرمئذ رايه الجحود والعداوة بلقرآن لماذا يكفرون به وقد كنوا من قبل
يستفتحون على الدين كفروا؟ لماذا يجحدونه اليوم؟
يقولون: به الولاء لإيمانهم وكتابهم وأسيانهم ۱۱

وعندئذ يتجبه القرآن سريرتهم قتالا

﴿فَلِمَ تَقْنُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة ٩١]

وهو يريد باطلهم دحضا وححتهم صعما حين لا ينكر من الكتب
السابقة شيئا، ولا ينكر عليها شيئا، بل يجعلها دائما موضع إحلاله وتوقيره

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [الأحقاف ٢]

﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْأَنْجِيلِ بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة ٤٧]

ثم هو يدعز المزمسين به إلى لإيمان بكل ما سبق من نبي ورسول
وكتاب

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا
إِنْهَاءً وَمَا نَسْمِعُ وَلَا نَسْمَعُ وَلَا نَسْمَعُ وَلَا نَسْمَعُ وَلَا نَسْمَعُ وَلَا نَسْمَعُ
مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ
بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة ١٣٦]

ثم يلتفت القرآن صوب محمد رسول الله، فيحصره أن ادب
يحدونهما مع القرآن ورسول - إنما يستعجبون لجهالات بملئ بهم،
وأحقاد تستحوذ عليهم

والذي يصدر عن جهن حروب، أو تعصب أعمى، أو حقد متناث، لا يريده رصوح، نهجة وانتصارها إلا صدودا وحجودا، فانصرت أنت في طريقك غير عاصي بهم، ولا اسر عليهم ﴿وَلَا يَرْبُدُ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ مَّا أُرْسِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [النمل: ٦٨]

وبسم الله الذي يسهج القرآن في محاحه أهل الكتاب، يواحه من قبل عدة الأوثان من مشركي مكة وكمارها. هؤلاء الذين قدسوا عن القرآن إنه

﴿أَضَعْتُ أَحْلِمَ بَلِّ أَفْرَنَهُ بَلِّ هُوَ شَعْرٌ فَلْيَأْنِ
بِتَبَقْرَ كَمَا تُرْسِرُ لَأُولُونَ﴾ [الأنبياء: ٥]

وقالوا عن أنفسهم ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكْتَتٍ مِّمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ
وَفِي عَادِيَةٍ وَقَرٍّ وَمِنْ بَيْتٍ وَبَيْتٍ حِجَابٌ﴾ [سجدة: ١٥]

وقالوا ﴿أَسْطِيزُ لَأُولِيكَ أَكْتَسَبَهَا فِيهِ تُمْلَى
عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥]

وقالوا: ﴿فَكَ قَدِيرٌ﴾ [الاحقاف: ١١]

وقالوا: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ﴾ [الحج: ١١٣]

هؤلاء الذين لم يدعوا اتهاماً يدين من قرآن في دعمهم. لا اقر فوه
هؤلاء الذين رآوا في القرآن قدر حياء يدع يعي الكهيم، ويعي اتصال
الذي وجدوا آباءهم عليه عاكفين، تدرج لقرآن معهم في سبيل نهضة
أضعبهم، وتصحيح فهمهم، وتألف قلوبهم.

وهو يد يدرك دور الأنبياء التي تحرك الناس وتحدد الكثير من وجهانهم يسأل كفار قريش ، لماذا اتحاصمون القرآن؟ أحوا فامه على أمجادكم؟ ويحكم ، دد إله إذا كان لكم مجد يرتقب فليس يصدقكم به سب مثما يصدقكم به هذ الفرقان

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠]

رأدا كنت الأمم لا يحدد أمجادها شيء مثما يخلده انتشار عبدها ولعتها ، فهذا الكتاب مسلككم إلى الحود

﴿يَا أَرْسَلْنَا قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [سورة ١٢]

﴿يَلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا عَزِيزٍ ذِي عَوْنٍ﴾ [الزمر: ٢٨]

على أن هذ القرآن وهو يدكر لمشركين بهذا النفع الأدبي الذي سيفيده عليهم إيمانهم به ، لم يكن يريد أن يملكهم ، أو يحممهم على أن يشتر علاقائهم به وفق هذ النفع وهذا الاعتبار

إنما كان يدل لا غير - بعض الصعاب التي تنفيها عرائزهم في طريقهم ، وإلا فهو إذ يمن عليهم بأنه عربي مبين ، يكشف في نفس الوقت عن التبعات الكبرى التي تترتب على هذ الاعتبار

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ، لِنُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ١٤]

﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْزِقُهُ بِسَيِّئِكَ لِيُنْفِرَ بِهِ الثَّقِيلَ
وَتُسَوِّرَ بِهِ قَوْمًا لَّدُنَّا﴾ [مريم ٩٧]

﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْزِقُهُ بِسَيِّئِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان ٥٨]
﴿رَلَّوْا رُلَّكَ عَلَى بَعْضِ الْأَغْصِمِ ۖ فَرَأَاهُمْ مَّا
كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء ١٩٨-١٩٩]

فهو كتاب عربي مسر، يحاطبهم باللغة التي يفهمون، ويدعوهم إلى
الله الحق الذي هم به مشركون

وحين يذهب حصوم القرون في عدونه كل مذهب، يتعقبهم القراء
ناقض إفكهم وداحضا باطلهم بأسلوب إيجابى سمح، لا يُغنى بتصيد
قولهم، لأنهم لا يقولون منطق يستحق التفسد، إنما بغنى يكشف محاسنه
هو ومزايابه، وتبيان نفعه، وإلقاء مرید من الصوء على حقيقته

فهم - مثلاً - يقولون للرسول عليه الصلاة والسلام
﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَكَ إِلَيْهِ وَفِي آدَانَا وَقْرٌ
وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ رِجَالٌ﴾ [صمت ٥]

فيرد عليهم القرآن مقررًا أن ذلك أمر طبعى ويقول
﴿بَلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَبَيِّنَاتٌ وَالَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ فِي آدَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى
أُولَٰئِكَ يُبَادُونَكَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [صمت ٤٤]

وهم حين نفلس حجتهم ويقولون للرسول : ﴿أَنْتَ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ

هَذَا ﴿ يَكْشِفُ الْقُرْآنُ عَنِ النَّوَاءِ مَسْجُودَهُمْ فِي التَّكْبِيرِ ، وَيُبَيِّنُ أَنَّ الْأَرْمَةَ الَّتِي يَعْبُوْنَهَا لَيْسَتْ أَرْمَةُ الْقُرْآنِ ، بَلْ هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ أَرْمَةُ الْإِيمَانِ فَهُمْ فِي رَيْبٍ ، بَلْ هِيَ جُحُودٌ بِالْحَقِيقَةِ الْكَرَى ، الَّتِي جَاءَ الْقُرْآنُ يَقْرِرها وَيُشْرِعُهَا عِبْرَهَا

وَمَا دَعَا لَا يُؤْمِرُونَ بِهِ لَوْ أَحَدٌ ، وَلَا يَرْحُونَ قَاءَهُ فَيَسْطَرُونَ هَكَذَا يَعْمَهُونَ

وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِأَنَّ وَرَاءَ هَذِهِ الْآيَاتِ بِهَا حَكِيمًا عَلِيمًا مَا طَسُوا الرُّسُولَ تَبْدِيدَهُ ، وَبَعَرُوا أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ هَذَا لِحُزْنِ أَمْدٍ .

﴿ وَإِذَا قُتِلَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتُنَبِّئُهُمْ بِغَيْرِ هَذَا أَوْ نَدَّبُهُمْ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبْدِلَهُمْ مِنْ نَفْسِي إِذَا أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّنْ قَبْلِهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة القصص ١٥-١٦]

وَيُؤَكِّدُ الْقُرْآنُ هَذَا بِمَعْنَى لِرُسُودِ بَلْ حَتَّى لَا يَصْنُقَ صَدْرُهُ ، إِذْ يَرَاهُمْ يَكْدُونُ بِالْعُرْآنِ وَيَسْتَكْمِلُونَ عَنْ طَاعَتِهِ

يُؤَكِّدُ الْقُرْآنُ لِرُسُودِ أَنْ يَنْوَرَّيَانَهُ يُعْشَى أَصْغَارَهُمْ ، وَيَفْتَحُ قُلُوبَهُمْ الْعَلْفَ الْمَعْنَقَةَ ، وَأَنَّهُمْ لَا يَشْكُرُونَ فِي صَدَقَةٍ ، وَنَكْرَ أَرْمَتِهِمُ الْحَاقِقَةَ هِيَ حَرْصُهُمْ عَلَى أَنَّهُمْ ، وَكَمَرَانَهُمْ بِاللَّهِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ وَمَا دَامَ الْعُرْآنُ يَهْتَفُ

بوحدايه الرب ، فهم عنه معرصون .

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُوكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِثَابِتٍ أَسَى
يُجَادُونَ﴾ [النمل ٣٣]

﴿وَإِذَا دُكِّرَتْ رَتَكَ فِي الْقُرْآنِ وَحَدِّمْ وَلَوْ عَلَى أُنْسِهِمْ
نُفُورًا﴾ [النمل ٤٦]

﴿فَأَسْمَيْكَ بِأَيْدِي أَوْحَى إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴿١٥﴾ وَإِنَّهُ لَدَكِّرٌ نَكَّ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿١٦﴾
وَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْتُمْ دُورَ
الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعَذِّبُونَ﴾ [الحج ١٥-١٦]

وحين يلجأ المشركون تارة ، وايهون تارة أخرى ، إلى التشكيك في
انقرآن ، راعمين أن الله لا يرس على أحد من الناس وحيا ، وقائلين ﴿مَا
أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَى تَشْرِيٍّ مِنْ شَيْءٍ﴾ [النمل ٩١] بحجبتهم القرآن الكريم قائلا

﴿فَمَنْ أَرْسَلَ الْكَتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى
لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ فَرِطِينَ يُدْوَسُ وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعِلْمُكُمْ
مَا لَوْ قَالُوا أَنَّهُمْ وَلَا ءَاءَ أَوْكُمْ﴾ [النمل ٩١]

ثم يلتفت إلى ارسول قائلا

﴿قُلِ اللَّهُ شَهِدَ ذُرِّيَّتَهُ فِي حَوْصِهِمْ يَلْعَنُونَ﴾ [النمل ٩١]
﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يوس ٣٩]

وحين تأخذهم العزة بالإثم ، ويعجبون لماذا لم يجد الوحي موسى
محمد ليتزل عليه ويأتيه بهذا القرآن بجيبهم .

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام ٢٤]

وإذ يأخذهم العرور الأهوح الكاذب ويصنون أنه لو كان هذا القرآن
حقا لهدتهم إلى الإيمان به قلوبهم ، وما انتف حولهم المستصعمون
من دونهم ، يرد عليهم لقرآن في تهكم ذكي .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْبِئُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ حَقًّا
مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِمْ فَسَبِقُولُونَ هَذَا
إِنْ كُنَّا قَائِمِينَ﴾ [الاحقاف ١٠]

ويعمن الكفار في إفكهم يمعنون في محاولتهم العجزة المملسه ،
فينعتون القرآن بكل ما توحى به أحقادهم فهو في رعمهم سحر ، وتارة
شعر ، وتارة مفتري ، وتارة كهانة !!

ويدمدم القرآن عليهم بمطوق يحفظ أبصارهم ، ويدك أبطيلهم .
وتتنازع الآيات في شيد قدسي مجلجل :

﴿وَلَا أَقِيمُ بِمَا تُصْرُونَ وَمَا لَا تُصْرُونَ إِنَّمَا لَقَوْلُ رَسُولٍ
كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ
قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ
الْأَقَاوِينِ لَأُحْدِثْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا يَكُفُّ
مَنْ أَحَدٍ عَنْهُمْ حَرِيصٍ وَمِنْهُمْ لَمُذَكِّرٌ لِلْمُتَّقِينَ وَإِنَّا سَعَدْنَا أَنَّ

مَكْرُ مُكَدِّينَ وَإِنَّهُ لَحَقُّ

الْيَقِينِ ﴿[الحاقة ٢٨-٥١]﴾

ثم يشي رمام الحديث في ختم حاسم حافل، موحها لقلوب إلى
الرمول

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة ٧٤]

ويتركهم القرآن يتخطون في عيظهم، وينهاوون تحت أصواته السابعة
كالمراش المخول، حين يعد في حرم أنه لن شعل نفسه مترهاتهم، وأنه
سيمصي محقق ضمرا بعد طهر، وفتحاً قلوباً إثر قلوب، وهادياً إلى الله
وإلى الصراط المستقيم أحياناً من بعدها أحياناً، مسلحاً بالكلمة المصينة
الهادية

أجل، بالكلمة وحدها الكلمة التي لا تتكون من أبسوة ولا رمح،
بل من حروف بسيطة مهيئة

﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يوس ١]

﴿طسَّ ۝ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الشع ١٠-٢]

﴿طسَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [النمل ١]

﴿لَع ۝ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [الجماد ٢]

بهذه الكلمات الميسرة في تركيبها، المعجزة في جوهرها، الفاصدة
في منطقها وحجتها يمضي القرآن محلها ورءه كيد الكائدين له والمترصين
به، جاعلا حسبه أولئك الذين فتحوا لآياته قلوبهم

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذْ ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ
وَرَبًّا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ رَادَّتْهُمْ إِيْمَانًا وَعَلَى
رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنعام ٢]

ولهؤلاء يقدم نفسه وينشئهم ما هو . وكيف يشرون ولماذا يحيء

إنه :

﴿يَبَادُّ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [ال عمران ١٣٨]
﴿وَأَنزِلْنَا لِّلنَّبِيِّ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ نزل به الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٣٩﴾
عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿[النحل ١٩٢ ١٩٤]﴾
﴿فَرَلَمْ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ يَلْفِئْتَ أَلَدِينَ
ءَامَنُوا وَهُدًى وَنُورًى لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج ١٠٢]

وبماذ نزل، ولماذا نزل؟

ما موضوعه؟ ما وجهته ورسالته؟

يجيب القرآن في إيجاز مبدع شامس عميم :

﴿وَيَلْحَقْ أَرْلَنَّهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلُ﴾ [الإسراء ١٠٥]
﴿مَا أَرْلَنَّا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى﴾ إِلَّا نَذْكِرَةً لِّمَن
يَحْتَسِنُ ﴿[ال هـ ٢-٣]﴾

﴿كَتَبْتُ أَرْلَنَّهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَرِيرِ

الحَسِيدُ ﴿[إبراهيم ١]﴾

ولماذا لا تأتي آياته كما يهوى الناس ، وساعة يريدون ؟

﴿وَمَا سَنَزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رُبُّكَ فُتُورًا﴾ مريم [٦٤]

ولماذا لم ينزل جملة واحدة ؟

﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان ٣٢]
 ﴿وَفَرَّقْنَاهُ أَفْصَافًا لِّنُقَرِّأَهُ عَلَى أَسَاسٍ عَلَى مَكْثٍ وَرَتَّلْنَاهُ
 نَزِيلًا﴾ [الاسراء: ١٠٦] .

ولماذا لم يمنح جميع لقلوب سورة ما دام حقا ، ولماذا لم يطو أفئدة
 ابطالمين ؟

﴿رَنَزَلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
 وَلَا يَرِيذُ أَطَّاعِينَ إِلَّا حَسَارًا﴾ [الاسراء ٨٢]
 ﴿وَلَنُؤْتِيَهُنَّ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور ٧٧]

وما طبيعة تركيبيه ؟

﴿مِنْهُ ءَايَاتٌ تُخَكِّمُ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ
 فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ
 الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ
 وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا
 وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الاعراف ٧]

ولم يأت هذا القرآن؟ القرشي وحده. أم بعرب جميعا أم للناس كافة؟ إنه لهؤلاء جميعا، لقرشي ولجميع حولها من العرب، وللعالمين.

﴿وَإِنَّكُمْ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الحرف ٤١]

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَرْسَلْنَا بِمُحَمَّدٍ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ

وَلَنُنَبِّئَنَّ أَقْرَبَهُ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ [الأنعام ٩٢]

﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [ص ٨٧]

إنه تنزيل رب العالمين، فليكن إذن للعالمين جميعا للناس كلهم

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [الزمر ٤١]

﴿هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ

يُوقِنُونَ﴾ [البقرة ٢٠]

هكذا حدثنا القرآن عن نفسه.

هكذا أعطانا طرفا مصيئا من قصته، ومن رحته، كما أعطانا قسا من

جوهره وحقيقته

ومن خلال الآيات التي تلونها ومن خلال آياته جميعا، نرى كذا

عجب وفرقا عظيما، عقد بينه وعزومه على تحقيق أسمى غاية ويلوع أعظم

عرض، ألا وهو إحراج الناس من انظلمات إلى النور، عن طريق هدم

الخرافة، وإعلان سيادة العقل ووصل الإنسان بالرب

ولقد قام هذا الكتاب المبين في أقل وقت بأعظم عمل، وأجر في

صنع سوات المهمة التي عقد عزمه على إنجازها، وجعل حمته والمؤمنين به رؤاذا ينتشرون في الأرض، في قلوبهم إيمانهم، وفي أيمانهم تراثهم.

وفي عشرات البلاد والأقطار بكست أعلام، ودالت دوى، حيث ارتفعت مكانها راية القرآن، وقام عالمه!!

وعلى طول الرمس، مد ألف وأربعمائة عام. لى يوم الناس هد وإلى أيامهم المقبلة، وانقرآن ناشر صياء، مديع بداء، يهدي إلى الله الأحد عالما متراحب الأبعاد، وخلائق وافرة الأعداد.

كل كلمة من آياته شريعة، وعقيدة، ومشعل حديد الصبء، على طريق القافلة لمؤمنة.

وقديما وقعت فريش تأتمر في بأس ويأس آيات هد القرآن، وهى تنزل آية آية، وكانوا يمعنون في الكيد لحامل الريبة، محمد رسول الله، يملأون مكة شكوكا حول الآيات الهائلة كالغيث.

وكان القرآن يطمئنه ويقول له:

﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُرْوَلُ لَيْسَ أَرْوَلُهُ
بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾

[الب، ١٦٦]

وحين كان كيدهم يتراحم حول انقرآن كالسدر المحيطة، كان محمد يفرع وتأخذه الهموم العجيلة خوفا على دلت النور أن يتمكن أعداء الله من إطفائه ولكن القرآن يهدى روعه ويقول هي ثقة عزيزة

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام ١٥]

﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّحَمِ ۝ وَالْأَرْضَ ذَاتِ الصَّدْعِ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلُ

فَصْلٍ ۝ وَمَا هُوَ بِأَهْرَبٍ﴾ [الطه، ١-١١]

﴿فَدَرِّي وَمَنْ يُكَلِّبُ بِهِمْ لُغْدِيثٌ مُسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ

لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القم ١٤]

ويعطيه الله وعدا يجد مرد كلماته في صدره، وتقيء إليه كل سكية

نفسه، ويلهب عنه الروح، وتجيئه الشرى حين تنزل عليه هذه الآية.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرَلْنَا أَيْدِيكَرَ وَإِنَّا لَمُ لَحْفَطُونَ﴾ [الحجر ١٠]

* * *

الفصل الثاني

عن منهج الدعوة

﴿بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾

محمد بن عبدالله ..

إنسان أمين، صادق، وديع، أوّاب..

في قلبه إيمان يحصص الأئمة وبي عينيه أسى عدت يتوهج كلما
طرفت حو طره حول الصلال الذي يعاينه قومه وعلى حبهته لصارعة
بصر عزم رشيد يحكي تصميم صاحبه على أن يحمل رشده تجاه الحياة كلها
ولأحياء جميع

وإنه ليتلمس إلى الله طريقاً، ويرجو منه موعداً فالله هو الذي
سبّغ فيه الصراط المستقيم . الله هو الذي سبّره الحق الذي يبحث عنه ،
ويُنْبِت على الطريق حُطاه

ويجيئه الهدى واليقين ويدعوه الله ليحمل إلى الناس كدمته ،
ويبلغهم رسالته ، ويستقبل العباء الجليل بعزم المرسلين .

وبين الأنواء الصاعرة من الدهش ، ولعيون المحمّدية من وقع
انفجأة ، وقف ذات يوم يعلن رسالته ويقول وسط الجمع لحاشد من
قومه

﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ خَيْرٌ﴾ [الاعراب ١٥٨]

وتمضي الأيام كانهدر ، كن ساعة منها تلقى على كاهل الرسول

متعها ومصاعبها، وتذره في نفس الوقت بمناعب ساعة التي تليها
وسلّطت قريش على انسي ومن سارع إلى الإيمان به أصعبها
وأحقادها المسدحة بكل وسائل التعذيب والأصطهاد

هذا يُعذّب حتى تفيض روحه!!

وداك يعدب وكل أمانيه في الحياة أن تفيض روحه!!

ومحمد تنتطره السحريات في كل طريق، وتتهاوى عليه الحجارة
تدمي وجهه المحب الودود.

ألا يستطيع أن يفضب؟

ألا يستطيع أن يرد ولو على كل مائة لطمّة من حصومه بلطمة واحدة
منه؟

إن له من شرف محتده جها يُهيئه لأن يماتل، ويحفره لأن يجرب قوه
ولو في معركة غير متكفنة معركة يواحه فيها وهو وحيد أعز من محتما
قبليا شحذ ألبابه وجمع كنده!!

إن للطبيعة الشريه مهما يسم بها صمد الجوهر حدود، ولين الجانب
مهما يوطئ أكناف صاحبه فإن له مع الشر موعدا يتحول عنده إلى قصاص
ومباحزة

والناس عادة لا يُسارعون إلى العصب وفي أيديهم أرمّة القوة
والسلطان والعلب، إنما يحتحون إلى العصب بأن صعبهم ومقاومتهم
ورسول الله، في الأيام التي نزلت عنده فيها هذه الآيات، كان في

حاجة إلى قدر من العصب يحميه ويدبر عنه عوائل التربص والعدوان
 برإيه في ذلك لموقف الذي دثره الوحي حلاله بهذه الآيات، الكريمة
 كان يعيش في دوامة من لأحداث، التي لا تدع مجالا للحلم، ولا محالا
 للعفو، ولا محالا للمهادنة.

وحين تصور أو تتحيل لمشهد الذي تألفت فوق أهوانه هذه الايات
 الباسمة الحافلة بالسكينة والصفح، يرى عجباً أيّ عجب
 فالمشهد هناك في ساحة أحد بالمدينة، حيث فرغ لتوه أعتف قتل دار
 بين لمسلمين والمشركيين، وحيث عانقت أرض المعركة جنث صحباها
 وشهادتها من المؤمنين. جنث سم يتركها أعداؤها سبيمة بل شو هوها
 ومثلوا بها في وحشية داكنة.

ويرى رسول الله ﷺ ومعه أصحابه لبودع إخوانه لذين استشهدوا
 ويحملوهم إلى حيث يدفون، ولكنه لم يجد شيئاً يحمله!! وخذ الجثث
 قد تحولت إلى أشلاء ممزقة

لم يقع المشركون بقتل المسلمين، بل مثلوا بالجثث الصريعة
 شهيدة شر تمثيل!!

ودار بصر الرسول ﷺ بين معالم الكارثة الموقوفة. سعون شهيداً
 من حيار صحبه كنهم قد مثل بهم أنوف مجدوعة وآذان مصلومة
 وأعضاء متورة. . ووسط هؤلاء جمعاً أحب الناس إلى رسول الله ﷺ.
 عمه العظيم حمزة . نفس الشهيد . ونفس المصير!!

وَيَ رَأَطَّقَ الرِّسْوَنَ الْأَمِيْنَ رِفْرَةً مَلْؤَهَا الْأَسَى وَأَدَارَ وَجْهَهُ قَبِيلاً،

وعر على عيبيه وَقَعَ مصابه ، فادت دموعها لتحبب بها قبلا أو كشرا من
المشهد المثير

وأحد المسلمين نيار جارف من الغصن والعيط ، وصاحوا من فرط
حنقهم على صوت رحل واحد «والله لئن أصاب منهم يوما مثل هذا لنريدن
على صنيعهم ، ولنمنن بهم مثلة لم يعثها أحد من العرب بأحد أبدا»

ورسول الله ﷺ ساكت ، كأنه راض عن وعيدهم وعيظهم بل
ويروى أنه هو أيضا قد وعد جثمان عمه وهو يودعه وباحيه بأن يشار له
ويستقم .

ولكن ، ما يكادون ينتهون من الصلاة على الشهداء ، ولا يكادون
يسرغون من دهم حتى ترون آيات الكريمة العظيمة

﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَدِّ لَهُمُ بِالْبَيِّنَاتِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ
صَلَّ عَنْ مَسِيئَةٍ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْهَكِينَ ﴿١٢٨﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ
فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ
لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٩﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِأَلَلِّهِ وَلَا تَحْزَنْ
عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي صِيقِ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّ اللَّهَ
مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [الحج ١٢٨-١٣٠]

ويهيئ الرسول عليه الصلاة والسلام من رُغواء الوحي ، ووجهه يأتق
تحب ضوء المغفرة ، ويقول ، «بل نصبر يا رب» .

ويصغي المسلمون لآيات الله تلامس صدورهم المتمجرة وعيدا
وعيطا ولها . تلامسها هذه الآيات فتحببها ردا وسلاما وصبر وسلوانا
وفيما بعد . حس جاء يوم المتح ودخل لرسول وأصحابه مكة
ظافرين ، وقف أحد الدين بم يسوا بتعدُّ هول فاجعة أحد ، وصاح
لا قريش بعد اليوم . اليوم تستباح مكة فإذا النبي ﷺ يرسل
صوته الشكور قائلا :

«كفوا عن القوم . . اليوم تُعظم الكعبة»

ليس أروع ما في هذه الآيات أنها نزلت على قوم يتمجرون أما
ويعانون هزيمة ويصلُّون ظلما ؛ لهم فقالت : اعدلوا
وليس أروع ما فيها أنها نزلت على قوم يتوهجون نقمة وغيظا .
ليس ذلك أروع ما للآيات من دلالة ، على الرغم من أنها في هذا
وحده وبها وحده تفوق كل روعة أحده وكل جلال ميسور
إنما أروع ما فيها أنها نقت انمشهد من زمانه ومن مكانه ، ونقلت
رسول والأصحاب والدعوة إلى لباب جوهرهم الذي لا ينبغي أن يعيب
عهم ، ولا ينبغي أن يذهبوا بعيدا عنه .
والان ، فلننظر . .

هد رسول الله يحوض مع أصحابه معركة اضطره إليها خصوم قساة ،
يريدون أن يُطمئوا نور الله .

ولقد انتهت المعركة بهزيمة مزللة .

فما الآيات الماسة في تقدير الناس لهذا المقام؟

ما الآيات التي يمكن أن ينتظر المهزومون سماعها ويبين أيديهم أشلاء
إخوتهم المستشهدين؟

لعلهم كانوا يتوقعون آيات تشد فيهم رداد المقاومة وتشير قوى
المجاهدة .

آيات إذا سم تصاعف في أنفسهم اللهم على القصاص فلا أقل من ألا
تدعوهم إلى الصفح والصر !!

آيات تمجد المعركة التي انتهت ، وقرع الطول للمعركة لمقابلة ،
وتنشر المهر ومين بنصر قريب !!

هذا ما كان يتوقع بروه من آيات فهل حدث؟ أذا لم يحدث
من ذلك شيء

بل جاءت الآيات تذكر الرسول بحقيقته وجوهره ، وحقيقة دعوته
وجوهرها .

جاءت تذكره بعممه الأساسي في هذه الحياة . تذكره بأنه صاحب
دعوة لا قائد حيوش ، بطل رسالة لا بطل حروب ، وكذلك أصحابه الذين
آمنوا معه .

لكن الآيات الكريمة تقول له :

لقد هُزِمْتَ وأصحابك الهزيمة لمبررة وما في ذلك بأس ، فأنت لم

تُرسل لتحقيق انتصارات عسكرية في جبهات قتال حتى تأتس على هزيمة
بما أرسلت لترد الإنسان إلى الرب، وتدحض الحواجر المصطعبة بين
الخلق والخلق، وتهدي لتي هي أقوم، وتقود النفس البشرية إلى خلاصها
ومجدها.

إن مواقفك في جبهات القتال ليست سوى محطات عرصة مرصها
صعوبات لا تملك لها دفعا.

أما أنت أولا وأخرا فليست إلا رسولا لست إلا مدكرا وديرا
إذا كنت الآن ترى السلاح شوب في أيدي أعدائك، مثلوما مُهشم
في أيدي أصحابك

إذا كنت الآن تسمع قريشا تدق صوون الفرح، ولأصحابك يرففون
أنيس الهزيمة

إذا كنت الآن ترى إخوانك صرعى، لم تتركهم الكراهية العمياء حث
هاجمة بل أنت لا أن تمثل بها تُرصى حقدما لثيم المسموم

إذا كنت ترى كل هذا فلا تجرع، لأنت لست ظافر بقدر ما تريح من
معارك بل بقدر ما تريح من قلوب !!

لست منتصرا بقدر ما تقتل من خصوم بل بقدر ما تحيي من أنفس،
ونقل ما تهدي من صلال.

من أجل هذا، أنس حديث المعركة ووقع الهزيمة، وتذكر عملك
لرئيسي في هذه الحياة.

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل ١٢٥]

أهناك «نسانية» أروع من هذه؟!

حتى وهو في قلب المعركة يتلقى حصدها لا تقول له الآية فاتهم
بأنهم هي أحسن، بل تقول به ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل ١٢٥]
سبحان ربنا لعظيم

وتلك ظاهرة لا أعرف بها نظيراً هي الدلالة على أن محمد ﷺ لم يكن
يصنع رسالته، إنما كان يتلقاها من لدن حكيم خبير.

والقرآن لا يعتد بدعوة الرسول إلى «التي هي أحسن»

ولا يعتد بصرب له الأمثال التي تدعم يقينه وروح السلام لديه

فهو يذكره موسى وهارون حين أرسلهما الله إلى فرعون ذي الأوتاد،

فقال لهما سبحانه :

﴿ادْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا نَّيًّا لَّعَنَهُ
بِسَِّدِّكَرُ أَوْ يَحْشَوْ﴾ [طه ٤٣ ٤٤]

وهو قبل أن يدعوه إلى الأحكام بالحكمة و لموعظه الحسنة يذكره

بإبراهيم خليل الرحمن

﴿إِنِّي أُرْسِلُكَ كَآفَّةً أُمَّةً قَانِياً لِلَّهِ حَيِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنْ
الْمُشْرِكِينَ ﴿٤٦﴾ شَاكِراً لِأَنْعَمِيهِ لَحَبَّهٖ وَهَدَلُهُ إِنَّ
صِرَاطَ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٧﴾ وَءَنَيْنَهُ فِي الدُّنْيَا حَسَةً وَإِنَّهُ فِي

لَا جِرَةَ لِمَنِ الصَّبِيحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ [الحج ١٠ - ١٢٣]

والقرآن كذلك يدعو برسول يبي أن يقدم قومه وأمته وأنداس جميعا
هذا السلوك الحاي السر

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا اُنْطِى هِىَ اَحْسَنُ مِنْ لَشَّطَرٍ
يَسْرَعُ بَيْنَهُمْ بِنَ لَشَّطَرٍ كَاك بِالْإِسْرِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿١٢٤﴾
رُكُّكُمْ أَعْلَمُ كُمْ إِنْ شَأ يَرْحَمَكُمْ أَوْ إِنْ شَأ يُعَذِّبَكُمْ
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [السر ٥٣ - ٥٤]

بيد أن هذا السهج يحتاج الى مصابرة شديدة ومثابرة أشد، وهذا يدعو
لقرآن محمدا ﷺ لنصبر ونصابر

﴿فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ [طه ١٣٠]
﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ
وَلَا تَكُنْ فِي صَبِيٍّ يَمْكُرُونَ﴾ [السر ١٢٧]
﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْلُحْهُمْ هَجْرًا خَمِيلًا﴾ [السر ١١]
﴿فَأَصْبِرْ إِنَّكَ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [عمر ٥٥]
﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِيعْ مِنْهُمْ أَمَّا أَوْ كَفُورًا﴾ [السر ٢٤]

ويضرب له، الأمثال أيضا بإحوا به الدين سبقوه على طرق الدعوة
بى الله، والذين استعنوا بالصبر والصلاة

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [مريم ٧٥]

﴿وإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾

إن القرآن يصوغ من عبارة «التي هي أحسن» مبدأ من نهى وأعظم مبادئ العلاقات الإنسانية في الأسماء والصفات معا

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَكْثَرُ بِعَا

يَصِفُونَ﴾ [الشورى ١٩٦]

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ

عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [سبل ٣٤]

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾

[الأعراف ١٩٩]

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَرُ﴾

[التكوير ٤٦]

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقَدْ أَسْنَتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمِنْ أَتَّبَعِي وَقُلْ

لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَتَسْتَعْتِفُونَ فَإِنْ أَسْتَمُوا

فَقَدْ أَهْتَكَدُوا وَإِنْ قَوْلُوا فَإِنَّكُمْ عَلَيْكُمْ اللَّعْنَةُ وَاللَّهُ

بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [الاحزاب ٦١]

والرسول صاحب دعوة، ومُبلِّغ رسالة وهل غير الحوار الأمين

وسيلة للسلاخ وسيل للإقناع؟ إنه لا سلطان له على صفات الناس

﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية ٢٢]

و ليس من حقه بحال أن يُكره لباس على أن يؤمن بيمانه، ويفتحموا
اقتناعه.

﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يوس ٤٩]

ي عليه أن يهتف بكلمة الله، ويحهر بالحق، فمن أنصر فلسفه ومن
عمى فعليها، دون أن يكره أحدا على هجر اقتناعه
بأن عليه أن يصون بيمانه وإيمان أصحابه من وطأة الإغراء والهوى،
ويحميه أيضا بكل وسائل الحماية من إرهاب المحصرم وعدوانهم

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا
يَمْرُؤُكَ فِي الْأُمُورِ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى
مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج ٦٧]

﴿وَرَدَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى
يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ
بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [النساء ٦٨]

﴿وَإِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا
تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [النساء ٦٩]
﴿وَيَوْمَ جَدَّلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحج ٦٨]

دع هو لمسيح الأمين العادل الذي يرسمه القرآن العظيم لرحلة
الكسفة في عنان الرسالة و لبلاغ حوار قائم على لمسطوق، باحث عن
الحق، راعب في إسلواء الخير

﴿لَا يَكْرَاهُ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ ارْشَادُ مِنَ الْغَيْ﴾ [البقرة ٢٥٦]

والذي يحطى الحقيقة اليوم لن يحطها عدا ومع الأيدى يراجع الناس أنفسهم، وتكشف بهم معالم الطريق، ومفصل الله فيما، حنف لعقول فيه

﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِأَلْحَىٰ
أُرْسِلَتْ بِهِمْ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ نَحْكُمَ
اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف ٨٧]

وإلى أن ينبلج الفجر، ويتصح السيل، فلكل رايه وهذه

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون ٦]

فإذا أسرف الحصوم على أنفسهم، وقالو على الله الكذب وهم يعلمون، وسطوا أيديهم بالسوء والعداوة يصدو عن سبيل الله من أمر وليحمدوا الناس كرها على هجر إيمانهم بالله وبالحق، فلا بد للحق حينئذ - من أن يحمي نفسه ويمتشق سلاحه

وعندئذ - لا قنند - يرفع القرآن في وجه الناس بأسا مثله، فيقول

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ
وَلَا تَمْتَدُوا﴾ [البقرة ١٩]

الفصل الثالث

عن البسطاء الكادحين

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّكَ يَرْكَنُ﴾

﴿عَسَىٰ وَتَوَلَّىٰ ۖ أَدَّ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يُرَىٰ ۚ
 ٦ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ لَذِكْرًا ۚ أَمَّا مَنِ اسْمَعَىٰ ۖ فَآتَىٰ لَهُ
 تَصَدَّىٰ ۚ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يُرَىٰ ۚ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۖ وَهُوَ
 يَحْسَبُ ۖ فَآتَىٰ عَبْدُ اللَّهِ ۖ كَلَّا ۖ إِنَّمَا نَذِيرٌ ۖ﴾ [عس ١ - ٦]

لم يكن من بين أمانيه - عليه سلام - أن يذهب من الدنيا بما ولا
 شهرة ولا مجد

إنما كان أمانيه أن يكثر عدد الذين يهديهم الله به من الصلال

كان منتهى آماله أن يلقي ربه الكبير في موكب حاشد حافل من الذين
 استجابوا لله وللرسول . الذين استطاع أن يلدوي أرمّة قلوبهم الصالحة ،
 ويكبح حماح شهواتهم لمتهمدة ، ويفر من هي قلوبهم مكاب الشرك توحيد ،
 ومكان الجحود إيماناً ، ومكان الكراهية حب ، ومكان الرئع معرفة وفهما
 وبصيرة

ولقد سلك إلى هذه العية كل سسل ، فثائر ، وصابر ، ولاين القلوب
 انفسية ، وبدل من ذات نفسه فوق حلم الحالمين وصبر الصابرين
 وكان وهو يدير بصره حول قومه يُرح به الأسى من أحسن أولئك لدين
 تخدمهم أباطيل الحياة ، ويفرهم بالله العرور .

وكان معيًّا بعشيرته، لأقربين وكان يرى كل قریش، ثم كل لدس،
عشيرة له وأهلا.

وكان يعلم أن أكثر العامة يسعون كراءهم، ومن ثم فقد طالما نعى أن
يهدي الله إلى لإيمان كراء قرش وعليتها

إلهم إن هدوا وأموا جاء الناس على أثرهم سر عاراعين، ونحوصوا
من عقابيل الشرك والجهالة، واسطلقوا مع الدين الجديد نحو المصير
العظيمة الواعدة.

وإنه عليه الصلاة والسلام - لجلس ذات يوم مع واحد من سادة
قریش وكبرائها يحدثه عن الإسلام ويحبب إليه الإيمان، ويكره إليه الكفر،
ويدعوه إلى عبادة الحي القيوم وإنه بكبير الأمر في أن يرق قلبه ويلين،
فإذا تم ذلك يكون الله قد هدى رجلا تقتفي آثاره عشرات من الرجال

وإد هو يحدث إليه يقبل عليهما (اس أم مكتوم) واحد من فقراء
المسلمين يتحسس الطريق بعكازته، فهو مكهوف الصرير صرير
ويقف على رسول الله عليه السلام يسأله بعض أمور ادس ويقول له
أرشدني يا رسول الله

وكانما أحس الرسول أن (اس أم مكتوم) جاء في غير أونه فإن
نظرة واحدة من (السيد القرشي) إلى هذا المسلم الفقير المتسربل بأسماله
المتواضعة ستحرك في أعماقه البخور من دين ميسوي بين هدا الأعمى
الفقير، كما سأنحده العرة بالإثم، فلا يسي عن اقتصاعه إذا هو قنتع - أمام
واحد من العامة مثل اس أم مكتوم

ولعل الرسول رأى أن حديثه إلى السيد القرشي كان قد دفع اللحظة لحاسمة التي تسسلم عنده قوى المقاومة، حيث أقبل ابن أم مكتوم آنئذ فقطع تسلس الحديث، وقطع أبص تسلس الشعور الذي كان داخل نفس السيد القرشي والذي كان يتجه في طواعية صوب لفهم ولاقتناع

ولم يكن بد من أن يعرض الرسول عن ابن أم مكتوم، ويستأنف الحديث مع صاحب الحق فيه، بيد أن إعراضه عليه السلام كان مصحوب بمظاهر الصيق وعدم الارتياح

وهكذا لم يكد المجلس ينتهي حتى كاس الآيات الكريمة تشرق على قلب محمد توضحده على ما صبح، ونذير القصبة في حوار سريع حاسم، يشعرا أن السموات كدها قد شعلت حيثئذ بأمر هذا المسبب الفقير الصرير

وعلى الرغم من أن الآيات تحاطب الرسول مباشرة، فإنها تراها تستعمل صبغة الماضي وتوجه الحديث إلى صمير العائث لا إلى صمير محاطب فهي لا تقول عَيْسَتْ وتوليت من تقول عَسَ وتولي

وكأنها تريد بهذا أن تُعس أن بموقف سي وقفه الرسول من من م مكوم ليس من طيعته ولا من شيمته

إبه يلبق بإنسان آخر غير محمد أما هو فلا، وبهذا فإن ذلك الموقف كان دخيلا على طبيعته وحلقه وشيمته، وبهذا أبص يرى الآيات كأنما تحرد من ذلك الموقف ذاته شخصا آخر توضحده وتدسه وتقول ﴿عَسَ وَتَوَى ۝﴾

أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿عس ١٠﴾

لذلك لم يكذ الوحي يسهي من تسحيل مأخذ العنوس والإعراص
مستعملا ضمير العائب حتى عاد ضمير المحاطب وهو يركي جوهر الإيمان
وجوهر الرسالة للكريمة . فتقول الآية الكريمة :

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُمْ يَرْجَوْنَ ۖ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُمْ

الذِّكْرَىٰ﴾ [عبس ٣ ٤]

لكأن القرآب يقول للرسول

إنما أنت هاد وناذير .

إنما أنت مُزَكُّ ومدكر

وإنك لترفع راية الله وتدعو إلى كلمته .

والله لا يريد أحدا لشرائه ولا لجأه ، إنما يريد من يلقي السمع وهو

شاهد

يريد من يسارع إلى مغفرة من ربه ، ويبين حوائجه قلب سليم

يريد الذين يرون في كلمة الله خلاص أنفسهم وخلاص مصيرهم ،

ويقبلون عليها بروح مُشتاق .

أولئك هم أصفباؤه وأحببؤه .

أولئك جاءك منهم واحد يتعثر في حطاه ، ويبحث عن هداه ، تعرض عنه

وتتولى وتمسح اهتمامك وحرصك «قارونا» من «قواريس» آمال ووجها من

عليه قريش ورعمائها ، جريا وراء قلبه الرائع وأملاني خلاصه المسلوب

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْجُوا ۖ وَآمَنَ مِنْ جَاءِكَ بِسَوَاءٍ ۖ وَهُوَ يَخْتَصِمُ

﴿قَاتِبْ عَنْهُ لَهْفًا﴾ ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذِكْرَةٌ﴾ [عسر ٧ ١]

إن هذا الذي جاءك نسبته إليه أشواقه وصراعاته وابتهاالاته أحق
بإقبالك عليه وسعيك إليه .

أفقر هو من الماء ، والآحر غني؟

أضعيف هو في قومه ، والآخر قوي؟

لا بأس

وأولئك هم الذين يريدهم الله

المتعبون ، الذين يتدمسون لراحة .

التائهون ، الذين يبحثون عن مرها .

الخائفون ، الذين يبحثون عن مأمّن .

المستضعفون الذين يبحثون عن ملاذ .

الشعث الغبر المدفوعون ، لأنواب .

البسطاء الكادحون المائلون حياتهم بالعمل والعناء

أولئك الذين من أجلهم قيل سواهم - رُفعت «راية الله» في الأرض

لتصلهم تحتها ، ولتعلن قيام عالمهم وبعث أيامهم وزحف صهوفهم

فلا تشغل نفسك بكل مستنكر

وأقبل بكل نفسك وكل شغفك وحب على هؤلاء البسطاء المقراء

الودعاء .

إن في داخل أجسامهم تضامرة انوشانة قلربا شامخة مؤمنة ، أعطب

الله موعداً ليجمعها حيث يريد وساعة يدعو ، وقابوا

﴿زَبَانًا عَلَيْكَ تَوْكَلَّ وَرَيْكَ أَبْنَا وَرَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

[المعجزة ٤]

تلقى رسول الله من ربه هذا الدرس لأريب العظيم ، فلم يعد ندا بأنه بأوشك لعالية الدين كد يرى في هداهم كسما كبيرا لقضية الحق والحيث والالإيمان .

وعاد إلى الصفوف العلمية يصحح كل حرصه وحده وعنايته

ولم يعد يقل عليه (اس أم مكتوم) في أي وقت وفي أي مكان إلا ويحتفي بمقلبيه ويقول : «أهلاً بمن عاتبني فيه ربي»^{١١}

وحقيق الرسول لدرس تماماً لأن القرآن لم يرب يذكره به دائماً

فدأت يوم وهو حاس مع امر من أصحابه الفقراء ، فيهم صهيب وبلال وعمار وخباب مر بهم ملأ من قریش فقالوا للرسول

يا محمد أوصيت هؤلاء من يومك؟ أهؤلاء لدين من الله عليهم من يسأ؟ ألا تجعل لهم يوماً ولنا يوماً فإنا نسبحي أن تراك العرب مع هؤلاء لصعفة والعبيد؟!

وحاءت آيات الله كالبرق تحطف أوهمهم ، وتقول لسي

﴿وَلَا تَقْطُرِ الدِّينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَقْطُرَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا

أَهْتُولَاءَ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيِّنَاتٍ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ

بِالشَّاكِرِينَ ﴿الأنعام ٥٢-٥٣﴾

ولا يفتأ الوحي يذكره بهذا السلوك ويحصره عليه

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ
وَالْعِشْيِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عِبَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ رِيسَةَ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعَ مَنْ أَغْوَى قُلُوبَهُمْ عَنْ ذِكْرِنَا وَأَنْتَبِعَ
هُونَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطُأً﴾ [الكهف ٢٨]

ويذكره بأسماء الله، وما شهدته من محاولات ذوي الشراء والباس
ليبعدوا عن نور الله صاده الفقراء، وكيف كانوا يعيرون أسياءهم من سارع
إليهم من المستضعفين.

فقوم روح يقولون له.

﴿وَمَا زِلْنَاكَ أَتَيْتَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا لَكَ كَادِي
الرَّأْيِ وَمَا زِلْنَا لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَصِيلٍ﴾ [مرد ٢٧]

وأتى قومه عنه كي يحيي عنه فقراء المؤمنين، فما كان حواءه كما
قص القرآن الكريم إلا أن قال

﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقُوا رَبَّهُمْ
وَلَكِنِّي أَرْكُزُ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقُولُونَ مَنْ نَصْرِي
مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [مرد ٢٩-٣٠]

ويمعن القرآن في حصد شركة الصليبين بمكانتهم، المزهوين بجاههم،

المستعجلين بأموالهم ، فيضرب لهم مثلاً يتوهم عليهم ليردجروا ، كما يتوهم على الصعقة من المؤمن ليرددوا مرحاً بما معهم من نعمة الهدى واليقين .
أما بطل ذلك المثل فهو قارون .

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ
وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ فِي الْكُفْرِ مَا إِنَّ مَفَاسِدَهُمْ سُوءٌ بِأَنفُسِهِمْ
أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْفَرِحِينَ ۖ ﴿١٧٥﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الْبَازَارَ الْآخِرَةَ
وَلَا تَلَسْ نَفْسَكَ نَفْسِكَ مِنَ الدُّنْيَا وَآخِرِينَ كَمَا
أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَجْعَلِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۖ ﴿١٧٦﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي
أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ
مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ
دُئُوبِهِمُ الْمُخْرَمُونَ ۖ ﴿١٧٧﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ
أَلَيْكَ يَرْيَدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بَلَيْتَ لَهَا مِثْلَ مَا
أُولَى قَرُونٌ إِنَّهُ لَدُوٌّ حَظِي عَظِيمٌ ۖ ﴿١٧٨﴾ وَقَالَ
أَلَيْكَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ
ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّادِقُونَ ۖ ﴿١٧٩﴾
لَحَسَفًا بِهِ وَيَدَارِهِ الْأَرْضُ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِتْنَةٍ

يَبْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ آلِهَةٍ وَمَا كَانِ مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٥٦﴾
 وَأَصْحَ لُذِيكَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَذِّبُ
 اللَّهُ بِتَسْطُطِ أَرْزَقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا
 أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ
 ﴿٥٧﴾ تِلْكَ أَلْدَارُ الْأَجْرَةِ لِمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي
 الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْفِقِينَ ﴿٥٨﴾ [القمر ٥٦-٥٨]

أكاب القرآن سمونته هذا يمجّد القمر ويتحدّى أشراء؟ كلا، وإنما هو
 يرد الإنسان إلى حوهره وحقيقته، ويرفع قلبه فوق كل مواضع انعرف
 الإنساني حين تضطرب في يد هذا العرف معايير القيم وحقائق الأشياء
 فهي كل رمان ومكان ينظر الناس إلى أهل شراء والحضرة نظرة مدوفا
 التوفير والمهانة، بينما ينظرون إلى أهل انحصاصة ونهمر نظرات تتراوح بين
 الرثاء والاردراء.

والقرآن يواجه هذا الميران المحتل المضطرب بمطلق صارم حاسم
 مطلق يستمد صلابته من إدراكه لحقيقته الإنسان.

هذه الحقيقة المتمثلة في أنه أي الإنسان - حامل مشيئة الله في
 الأرض وهو بحكم كونه «حليفة الله» كما ذكر القرآن في ذات طبيعته في هذا
 تكوّنك تحقيق العرص الحديث، الذي ارتبطت - في صميمه، الأزل أسباب
 وجوده بحتمية تحقيقه

إن السوع الإنساني لم يوجد لتضطرب صفوحه إلى أعبياء وفقراء ولا إلى

سدة وعبيد، ولا إلى أتوبيء وعجرة، ولا إلى رعاء وسوئهم إنما وحد
ليحرك صف واحدا داخل حصوص منكثثة من انقدرة و سيدة و لكهيه .

يرفض أن تُقرّر «شهادات الميلاد» مصاير الناس وتحدد أقدارهم !!

وهو إذا كان يعلم أن الله فصل بعض الناس على بعض في الرزق فإنه
لم يكن يعني أبدا أن هناك ناسا خلّقوا ليُعلّفوا وأحرين خلّقوا ليُترَفوا !!

لم يكن يعني أبدا أن أقدار الناس في الحياة يحددها عدد الأموال
التي في جيوبهم وحرائلهم، إنما يحددها نصيب كل فرد من الجوهر
الإنساني ذاته .

وما الجوهر الإنساني هذا؟

إنه الحقيقة الحرة التي انتشرت في ملايين الأجيال من البشر تعبر عن
نفسها وتحقق ذاتها

إنه العمل الدائم في صدق وشوق ودمّة لتحقيق أخير العام والكمال
العام، وتمكين جميع البشر من أن يصيرو «مواطنين سعداء» في «مدينة لله
الراضية»

ونصيب كل فرد في هذا العمل الجامع، وهذا السعي المشترك وهو
الذي يحدد قدره ومكانه . .

لا الفقر ولا الفنى . لا الصحة ولا المرض

لا الياض ولا السواد . . لا السيطرة ولا التعية .

لا شيء من ذلك كله يحق له أن يتحكم في أقدار الناس وفي

مصايرهم

به العمل وحده العمل انصالح الذي يستمد حصائضه من جوهر
الإنسان وجوهر رسالته .

والفقير الذي يحمل في هد العمل عنه عظيم وزن تعد به فقره
و شري الذي يتحلف ويحدد في الدعة صغير وإن فقر به ثراؤه
فإن تخلف الفقير وتقدم الشري فقد ماء لأول بالإثم ولم يشفع له فقره
وذهب الثاني بالخير ولم يقعد به ثراؤه .
و عمل السيد السبع من أجل حير النفس وحير السوع هو المعيار
الذي يورثه الناس .

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ

يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزمر ٨٠-٨١]

و (قارون) الذي عرضت آيات السالفة نأه، ثم يصرب مثلاً بنشر
سب ثرائه، بل لأنه يعي على لباس بهذا الثراء، فعنوه وفساده هما السدان
ساقاه إلى مصيره الوخيم، وليس ثراؤه وغناه

من أجل هد حتم القرآن الكريم قصة قارون بهذه الآية البهرة

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ الَّتِي كُنْتُمْ تُبْغُونَ لَا يَرْجُونَ عِلْوًا

فِي الْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [النجم ٨٣]

ومن أجل هد أيضا يضرب المثل في القرآن أكثر من مرة، فتقول آياته
الصادقة .

﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْنُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ

زَرَفْنَهُ مَنَّا رَزَقًا حَسَنًا فَهُوَ يُبْقِي مِنْهُ سِرًّا وَحَهْرًا
 هَلْ يَسْتَوِي الْحَمْدُ لِلَّهِ نَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَسْمُونَ ﴿٧٦﴾
 وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ
 عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ
 بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى
 صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٧﴾ [العدل: ٧٥- ٧٦]

والذين يصعون ثروتهم ولدين يصعون طاقتهم في خدمة الحبر العام
 هم المثل الطيب والأعلى في هذه الحياة أما الذين يسبحون من ثعالتهم
 تجاه هذا الخير العام فأولئك هم عبيد العجز ومماليك المهانة أثرياء
 كانوا أم فقراء سادة كانوا أم تبع
 ذلك هو معيار التفوق الذي يرسمه القرآن .

وهو حين يقول

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٦٥]

﴿نُظِّرَ كَيْفَ فَصَّلَ تَعَصُّهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٢١]

فتنت أفصية العمل والدرجات التي يتبناها أساس لما يبدلون من
 جهد شريف لتحقيق أغراض شريفة

وإن القرآن الكريم ليصحح في أفهام الناس معنى التفوق والنبوة

إذ يقول

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَحَمَّخْتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَسْئَلُكُمْ

فِي مَا ءَاتَيْتُكُمْ فَاسْتَيْقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ
جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخَلِّفُونَ ﴿١٤٨﴾ [البقرة: ١٤٨]
أحل . . ﴿فَاسْتَيْقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]

هذا وحده المعراج الذي رفعه القرآن لناس كي يصعدوا عليه إلى كل
كمال ميسور وإلى كل رفعة مأمولة

وهذه وحدها السمة المميزة للدين تؤهلهم جهودهم العادلة لار
يأخذوا مكانهم مع بناء الحياة

من أجل إقرار هذه الحقيقة عاتب الله رسوله حين لوى اهتمامه ذات
مرة - عن مؤمن فقير مؤثرا عليه واحدا من السادة طمع الرسول في إسلامه
وعلى الرغم من صدق النية ونبل المقصد، فإن القرآن لم يرض لهذه
واقعة أن تمر دون أن تكون موضع تساؤل منه ومؤذنة، ودون أن يقرع
عندها الأجراس معلنا حقوق «المواطن العادي» ومقدسا كرامته

ولم يشأ القرآن لهذه الواقعة أن تمر دون أن يسجل في هذه الآيات
وفي آيات أخرى مماثلة، المعاصر السديدة العادلة التي تحدد أقدار الناس
وتجعل التفاصيل بينهم موصول الأساس بهذه المعايير نفسها، لا بما
نوصعوا عليه من ربح الحياة وغرورها

وعلى الرغم من أن الرسول عليه السلام كان بما فطره الله عليه من
خلق عظيم آخذا بتلك المعايير العادلة، وآخذا مكانه دوما مع السطء
الفقراء الودعاء - على الرغم من هذا، فإن الله سبحانه وتعالى لم يدع هذه
الهوة تمر دون أن يجعل منها درسا يملأ ربيته لصادق وعني الناس جميعا

عبر الأحقاب والأحيال.

﴿عَسَىٰ رَبُّوْكَ ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكُ لَعْنَهُ يَرْكَبُ ﴿٣﴾
 أَوْ يَذْكُرُ فِتْنَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٤﴾ مَّا مِنْ أَسْتَعِيْنُ ﴿٥﴾ فَأَنْتَ لَمْ
 تَصَدِّقْ ﴿٦﴾ وَمَا عَيْتُكَ إِلَّا يَرْكَبُ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ
 يَحْسَبُ ﴿٩﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾﴾ [عبس ١-١١]

إن انقرآن يريد أن يهدي الناس إلى عالم يقوم الإحباء فيه مكان
 السماير، والحب مكان الكرهية، وانصبر مكان الربص

عالم يكون الولاء فيه للحق لا للمصلحة، وللدحوهر الباقي لا للأعراص
 الزائلة

وإذا كان الإنسان محط الرحاء في حمل كل أمانه جليده من أمانات
 الحق والحقية، فيحب أن يتحرر هذا الإنسان من كل ضغط يعوقه
 وإذا كان «الإنسان» أو «الإنسانية» هما مجموعة أفراد، فلا بد من أن
 يتحرر كل فرد من كل ضغط

ومن شر هذه الضغوط الإحساس بالدونية إحساس الفرد - أي فرد
 بأنه ضئيل وبأنه همل وبأنه شيء غير منظور وغير مذكور

ولهذا لم يكذ القرآن يرى فرداً من الأمة يعرض لهذا الموقف حتى
 سارع إلى تجديده، ووقف بجانب كرامته وحقه، يدود عنهما في إصرار
 وجلال ويرفض أن يسأل مسهما شيء حتى لو كان الثمن هدياً عظيم من
 عظماء قريش فعليه إن أسلم دحل أساس على أثره في الدين أو أوحا

ويراجب القرآن هذه الدائرة، ويهتف هتافاً قدسياً لكل حقوق الفرد العادي «وحقوق الناس» «جميع الناس» فيفتح فيهم من روحه عزة وكرامة، ويدعوهم ليهضوا مرفوعي الجباه، ويقول لهم:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [ال عمران: ١٣٩]

ويذكرهم بأنهم مع الله على موعد دائماً:

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَكُمْ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [ال عمران: ٥٢]

ثم يرفع أقدارهم إلى المنتهى فيقول:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥]

ثم يرفعهم إلى مستوى المسئوبات العمة، ويرفعهم إلى مستوى القيادة، ومع من؟ مع رسول نله الذي اختاره الله واصطفاه فيتلقي الرسول نفسه أمر القرآن ألا يبرم من دون الناس أمراً بل شاورهم ويستفتيهم

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [ال عمران: ١٥٩]

ويمهد القرآن لهدى الأمر بالشورى تمهيداً تنهى في الحكمة ولروعة فهو يقول:

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَيِّطَ الْفَقَبُ لَاقْتَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ

عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [ال عمران: ١٥٩]

تصوروا رسولا ينزل عليه الوحي من ربه، ثم يدعو أبا عادييين فقراء سطاء ويسألهم ما رأيكم؟ ويم تشيرون علي؟ ثم يرسل على رأيهم!!

ألا يرفع هذا السلوك من أقدار الناس أمام أنفسهم؟
 ألا يصححهم ذلك ثقة كاملة بأنهم سادة وبأنهم الأعلى؟
 ألا يدفعهم ذلك إلى الإيمان بأنهم أهل لرسالة جليلة انتي حملوها،
 وبأن مسئوليتهم عن حفظها لا تقل عن مسئولية لرسول الله؟
 بلى ولقد مضى الرسول يسي دعوة القرآن ويستشيرهم في كل
 خطوة

استشارهم يوم « بدر » فأجابوه وقد رأوه يفوضهم في تقدير
 الموقف كله

يا رسول الله والله لو خصت به هذا النحر لحصنه معك
 وشاورهم يوم أحد وكان رأيهم ألا يخرج إلى العدو وكان رأي
 المسلمين أن يخرجوا فنزل على رأيهم

وشاورهم يوم الحندق وكان من رأيهم أن يصالح الأحزاب على
 ثلاث ثمار المدينة وعارض رأيهم بعض المسلمين فتحلى عن رأيهم ونزل على
 رأيهم

بل شاور أصحابه في أخص شئونه . فيحدث الإمام (بن كثير) أنه حين
 شاع حديث الإفك وتعرضت أم المؤمنين (عائشة) رضي الله عنها لمؤامرة
 دنيئة أرادت أن تنال من سمعتها الطاهرة أملا في إيداء الرسول وإحراجة .
 دعا النبي أصحابه وقال لهم :

أشيروا علي معشر المسلمين فوالله ما علمت على أهلي من سوء !!

والقرآن العظيم يكاد يتركنا مهم أنه يعلق على الشورى أكر الآمال في
تحرير الناس من الهوان فهو في آية أخرى من آياته يقرن الشورى بالإيمان
والصلاة، ويجعلها مثل الإيمان ومن الصلاة واجبا على الناس جميعا
وليست فرصة بضموة أو بظانته، فيقول في وصف المؤمنين

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى

بَيْنَهُمْ﴾ [التورى ٣٨]

فليست الشورى ترفا.

وليست فرص كفية، يوب بعض الناس في أدائه عن بعض

بل وليست مجرد حق يملك أصحابه أن ينازلوا عنه

إنما هي صفة ثابتة نأخذ مكدبها في الآنة إلى حور الصفات الأساسية

للمؤمن، كالإيمان بالله وكالصلاة

بل إن هذا المقطع من لآية، المقطع الذي لا يريد عن كمات ثلاث

هي ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ كانت أهميته لدى قرآن بانهة إلى حد أنه سمى

السورة التي تضم هذه الكلمات الثلاث باسم «الشورى»^{١١}

سورة تتظم ثلاثا وخمسين آية، ليس بها عن لشورى سوى هذه

الكلمات ثلاث، ثم يعطيها لقرآن سمتها ويحلح عليها سمها

ومغرى آخر به دلالة لكبرى.

فسورة الشورى هذه مكية برت في مكة، وفرص على المسلمين

الشورى وهم يقومون يومئذ في بلد يعج بحصوم أقوياء

وكان القرآن يومئذ معينا ساء «الشخصية المؤمنة» فهو إدر لا يرى في الشورى سبيلا للوصول إلى القرارات الحكيمة التي تتطلبها سلامة الجماعة فحسب، بل ويراه قبل هذا سبيلا أي سبيلا إلى بناء المرء القوي وشحه بكل قوى الثقة والتهلل والإبداع.

على هذا السبق الساهر - بدءا من ﴿عَسَىٰ وَتَوَلَّىٰ﴾ [عسر] إلى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [العراد ١٥٤] مضى القرآن الكريم يرفع من قدر «المواطن العادي» ويشجعه له عالمه الكبير ويعده لتسلم الرؤية

مضى يبشر بمساراة شاملة صدقة، ليس لها سفظ مناع، ولا رعاية أتياع... مساواة لا غنى فيها، ولا صراوة لها.

ومن بلال وصهيب وحناب وإخوانهم لبسطاء الودعاء أسس القرآن أمة جاءت في أوانها لتصحيح موازين الحياة وتقرم اعوجاجها.

الفصل الرابع

عن اهتماماته الإنسانية

﴿وَلِلَّهِ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمُ﴾

ذات يوم ، وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب يجتاز شوارع المدينة
ومعه بعض أصحابه ، سمع صوتاً يناديه من وراءه يا عمر .
فالتفت عمر فإذا سيدة عجوز تقبل عليه ؛ ولا تكاد تبلمعه حتى
تستوقفه قائلة :

رويدك يا عمر حتى أكلمك كلمات قليلة .

ويقف أمير المؤمنين أمامها حاشعاً ، وتتحدث إليه فتقول

«يا عمر ، عهدي بك رأيت تُسمى (عميراً) تصارع الفتيان في سوق عكاظ
فلم تذهب الأيام حتى سميت (عمر) ثم لم تذهب الأيام حتى سميت (أمير
المؤمنين) فأتق الله في الرعية ، و علم أنه من حاف الموت حشى الفوت !!
واسرى إليها أحد أصحاب عمر قائلاً لقد اجترب على أمير
المؤمنين

فحدثه عمر من يده وقال له :

«دعها فبك لا تعرفها ، إنها (خولة بنت حكيم) التي سمع الله قولها من
فوق سمواته وهي تجادل الرسول في زوجها وتشتكي إلى الله . فعمر ونله حري
أن يسمع كلامها !!»

فمن كانت هذه السيدة العجوز التي استوقفت أمير المؤمنين هي

بطريق لتقول له كنت (عميرا) فأصبحت (عمر) وكنت (عمر) فصرت
(أمير المؤمنين)؟!

إنها السيدة التي أفرد القرآن لها سورة أسماها سورة «المحاذلة»

ولكن قبل أن نطالع قصتها ما شأن القرآن بها؟

إن شأنه بها ومعها هو شأنه بمشاكل الناس التي كان يتسببها في يقظه
ودأب ورحمة المشاكل التي كان يتبعها من أكرها إلى أصلها بهتمام
ودود ويرسم على ضوئها مبادئ الشريعة والسلوك .
وسوف نرى كيف أجز القرآن مهمته هذه .

ولبعد إلى لتأ الذي بدأنا به الموضوع «نبا المحاذلة» التي أصبى
إليها أمير المؤمنين في حشوع ، أد الله من قبل سمع حوارها وشكواها
ذات يرم كان الرسول عليه الصلاة والسلام حادسا في فناء دره ومعها
زوجته عائشة . حين قدمت عليهم سيدة تصطرب خطها ، رتضطرم
أفامها

إنها حولة بت حكيم زوجة أوس بن الصامت حري يسها وبين زوجها
بقر محرمها على نفسه قائلا : أنت علي كظهر أمي .

وكان هذا أول ظهار يقع في الإسلام فلم تدر الروجة إن كنت بهذا
الظهار قد طمعت أم هي غير طالق فحمت همها ، وأسرعت إلى رسول الله
قالت :

يا رسول الله زوجي (أوس) أكل مالي وأفنى شبابي ونثر له طمي
حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مي .

فأحياها رسول الله قتلا . «ما أراك إلا قد حرمت عليه»

وعادت «حولة» محاور الرسول وتقول

إني صنيعة إن صممتهم إليه صاعوا وإن صممتهم إني جاعوا وعاد

الرسول يقول

«ما أراك إلا قد حرمت عليه». وبكت «حولة» وقالت إني الله

أشكو أمري وأمر صبيتي ومصت تبدئ في شكواها وتعيد ورسول الله

سمع صدمتا

وفجأة أحده مثل الرُعُوء وأظلمت السكينة التي كانت تأخذه حين يرسل

القرآن على قلبه فيذهب في استغراق بعيد

وأومات عائشة إلى الروجة أن اصمتي .

وبعد لحظات من لصمت الحكيم حرك الرسول لسانه الصدوق آيات

من القرآن الكريم :

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُحَدِّثُكَ فِي رُوحِهَا وَنَشَأَ

إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ نَصِيرٌ ﴿١٠﴾

الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن سَيِّئِهِمْ مَا هُمْ بَأْمَنُهُمْ

إِنَّ أَمَنَهُمْ إِلَّا الَّذِينَ وَلَدَنَهُمْ وَالَّذِينَ لَيَقُولُونَ مُسْكِرًا

مِنَ الْقَوْلِ وَرُؤُؤًا وَرَيْكَ اللَّهُ لَعَنَ عَفْوٌ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ

يُظَاهِرُونَ مِن سَيِّئِهِمْ ثُمَّ يَصُدُّونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبٍ

مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَحَاسَبَ ذِكْرُكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا

تَعْمَلُونَ خَيْرًا ﴿٢٢﴾ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَاسًا فَمَنْ لَّمْ تَسْتَطِعْ فَأِطْعَاهُ سِتَيْنِ
مَسْكِيًا ذَلِكَ لِتُؤْمُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَبِذَلِكَ حُدُودُ
اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاهُ إِذْ كُنَّا
وَرَسُولُهُ كُنُوزًا كَمَا كُنْتَ الْيَمِينِ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَرْسَلْنَا
ءَايَاتِنَا يَنْصُرُ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٢٤﴾ المائدة ٢٤

وحين أتم الرسول تلاوة الآيات أرسل في طلب لروح، فعنه
يسعى، وسأله الرسول.

أتجد رقبة تعتقها؟

قل لا

قال الرسول أتستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟

قال الرجل ولا يبعثك بالحق إني إذا لم أكن المرثين والثلاث يكاد

يعشو بصري

سأله الرسول: أتستطيع أن تطعم ستين مسكياً؟

قال لا إلا أن تعي

فأعانه الرسول عليه السلام بثلاثين صاعاً

عندما طهر برجل من راحته قتلاً بها أنت علي كظهر أمي وسم

يكن بهذه الواقعة سابقه في الإسلام، سارع لقراء إلى نيل حكمها

ولقد جاء حكمه راجع لكل من يحاول أن يجترح مثل هذا السوء
 فعروة الرواج عروة وثقى لا يريد الله بها أن تترجع تحت رحمة السروات
 «طارئة»

وإذا كان «العلاق» أنقص للحلال عند الله، فمادا يكون الطاهر وهو
 أشد عثا بالحياة الروحية، وأشد تهديدا بها؟!

لقد جعل القرآن كفارته موجهة حتى يستقيم الأرواح على الوحدة
 وحين يعود إلى جوهر الواقعة التي نحن بصددتها نجد ما ينهر مداد
 حقد المرأة لم يكذب حمل شها وشكروها إلى رسول الله حتى حقد القرآن
 سبحانه مسجلا كدماته وحكمه في مشهد حائل ثم تترك بين سورة
 لمباركة سورة تحمل قصه (البطله) التي أثارت هذا الموقف كله نحو رها
 تلك هي سورة المحادثة

وسوف نجد هذا الاهتمام يتحلى ويساق في كل مناسبة فلا يكاد
 «يسأل سائل» حتى يتنزل القرآن بالحجوب ولا يكاد «يتأمر أمر» حتى يتقدم
 لقراء بالحجوب ولا يكاد «يأمر متأمر» حتى يدهمه انقرا بأصواته الكشمة
 فيكشف حيثه

ومن مشاكل السلوك العابرة، إلى مشاكل المجتمع العمارة، كن
 «قرا يتزل دائما وحثيا بحلوله السديدة

كان أصحاب رسول الله يترحمون حول مجلسه، وإذا سبق أحدهم
 إلى هذا المجلس طاهر بمكان فإنه يفض به ولا يتحلى عنه تحب رطاه أي
 «عتار

فهذه الرقعة الصغيرة التي يشعدها المسلم بقعوده بين يدي الرسول تساوي عنده عرشا بل هي خير وأبقى من كل العروش فكيف يتركها لغيره مهما يكن هذا الغير؟

وذاث يوم قدم جماعة من المدرسين ائدير شهدوا عروة بدر وكانوا بصفتهم هذه موضع رضاء الله وتقدير رسوله قسم يحدوا لهم في محبس الرسول مكانا دانيا فطلوا وقوا حتى شق على رسول الله عليه الصلاة والسلام وقوفهم ولم يتكرر ذلك بعد فإن القرن سرعان ما جاء بقول.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَقَسَّحُوا فِي الْمَحَلِّسِ فَافْتَحُوا إِنَّهُ لَكُمْ وِرْدًا وَإِلَىٰ نُشْرُوا فَأَنشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعَمَرَ دَرَجَاتٍ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادة ١]

ويهاجر الرسول إلى المدينة ويؤمر أن يجعل قبلته في الصلاة «بيت المقدس» ويمتش الرسول أمره، طاوبا صدره على حميين متوقدا ومشوب إلى «الكعبة» وإنه ليقب وجهه في السماء وكأنه يسطر منها على شوق كلمة تشفى صدره؛ ويقر به حيه كلمة تأدب به أن يتخذ من الكعبة قلة لصلاته وينزل القرآن.

﴿قَدْ رَأَىٰ نَقْلَبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاةِ فَلَوْلَيْسَكَ قِلَّةٌ نَّرْضَنَهَا قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة ١٤٤]

وينحد اليهود هذا لتحول مدعاة لنتهم على الرسول وإشاعة

الشكوك والريب وبث الفتنة بين المؤمنين.

ويصطحبون هـ وهماك أسنلهم الحبيثة بمد، غير محمد قلبه؟

ويسارع نقرآن ليفتح بمطقه المين مكر الماكين ويقول

﴿سَيَقُولُ الشُّعْبَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قَتْلِهِمْ اَلَّذِي
كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
اِلٰى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٣]

ويتساءل المؤمنون في قلق عن مصير إخوانهم الذين ماتوا وهم

يصلون إلى النقلة الأولى فيطمئنهم القرآن قائلا

﴿وَمَا كَانَ لِلّٰهِ لِيُضِلَّ اِيْمَانَكُمْ اِنَّ اللّٰهَ اِلٰهَ الْكَاسِ
لَزُهُمْ رَحِيْمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]

ويسأل برسور أصحابه عن الحمر والميسر فتزل الآيات

﴿قَدْ فِيْهِمَا اٰثَمٌ كَبِيْرٌ وَمَسْلُوعٌ لِلنَّاسِ وَرِثَتُهُمَا
اَكْثَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]

وبهذه الآية هبأ القرآن لادهاار لخطوة تالية لم يلبث أوانها أن جاء

هزلت الآية

﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلٰوةَ وَاَنْتُمْ سُكَرٰى﴾ [البقرة: ٢١٣]

وبهذه الآية أيضا اقترب القرآن من كلمته الأخيرة في شأن الحمر

والميسر فما إن حل الميثاق المناسب لهذه الكلمة حتى قالها

﴿يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوا اِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَصْحَابُ

وَالْأَرْكَمَ يَجْسُ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَبِيُوهُ لَعَنَكُمْ
تَفِيحُونَ ﴿المائدة ٩٠﴾

وكان الرجال الذين يرفعون في أكافهم يتنامى يحلضون أموالهم إلى
أموالهم ، فلما نزلت الآية

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا
يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْفُونَ سَعِيرًا﴾ [الباء ١]

تأثم أولياء اليتامى وعزلوا أموالهم وحدها بل وعزلوا طعامهم
وشرابهم ودهموا في لتحوط مدها بعيدا بسبب المساعف لهم وليتنامى
أنفسهم ، فسرع القراء يدهم على الطريق الوسط ، ويأمرهم بالقصد حين
سألوا الرسول .

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ حَيْرٌ وَإِنْ
نَحَايْتُهُمْ فَيُخَوِّنُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ
الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة ٢٢٠]

وإن لفرآن يبتنع حاجات نفس في ذلك المجتمع الذي يشأ باسمه
وتحت رايته ، ويتنع أسئلته جميعا ، فيجب عنها

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ﴾ [البقرة ٨٩]

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة ٢١٧]

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ [الأنفال ١]

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة ٢١٥]

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤]

وحتى هذه أيضا:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢]

وليس في مشاكل اناس ما هو صغير وما هو خطير ، فامام كل مشكئة ، مهما تكن صثبة ، بتحرك القرآن كل قدراته وكل مسئولياته وإدراكات المشكله واقع حال خاصه ، لم يعالجها داخل هذا الواقع فحسب ، بل يصعبها تحت المحهر ، حتى إذا رأى كل مصاعماتها لمحتمة عالجه العلاج الشامل القيم ، وجعل من علاجه هذا قدرون عاما وشريعة ومهاجا

عاص رجل امراته ذات يوم وأراد أن يكيد بها ويعيظها فقال والله لا أخلقك أبدا ولا أويك أبدا

فسأته الزوجة : وأنى بك هذا ؟

قل أطلقك حتى إذا أوشكت عدتك على المنام راحعتك ، ثم أطلقك . . وهكذا

فشكت لروجة نبي رسول الله واستهر الرسول هذى ربه ، هزل القرآن بهذه القاعدة العامة

﴿الطَّلُقُ مَرَّتَيْنِ فَإِمْسَاكَ يُمَقَّرُ وَيَمْقَرُ وَيُتْرَكُ﴾

بالحسن [البقرة: ٢٢٩]

ثم أدار القرآن نوره على القصيه كلها فذهب يطمح احداث الروحيه

ويحفظ للمرأة كل حقوقها إذ رأى الروح فرقه فيقول

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]

﴿فَإِنْ طِبَّ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هِيَئًا مَرِيئًا﴾ [البقرة: ٢٢٩]

﴿وَلَا تُسِيكُوهُنَّ صِرَارًا لِنَعْنَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ٢٢١]

وهذه عظمة ان قرآن حقا فهذا الكتاب الذي يشغل نفسه بأسمى لقيم وأحضر القصايا لا يجد بأس أي بأس في أن يعطي اهتمامه - ونفس الدرجة للمشاكل المعارضة التي قد نسب لبس بعض الألف أو بعض الحيرة

انكتاب الذي يتحدث عن الله، لو حد الأحد، ويتحدث عن المصير، وعن الدور الجليل الحالد الذي اصطفى لإسار لأدائه على هذه الأرض القرآن الذي يتحدث عن هذه القصايا انكسرى لا يستكشف عن إلقاء سمعه لمن ذهبوا يسألون عن المحيض، ثم يشغل نفسه بهذا السؤال، ويسارع بالحوار

﴿قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْرِضُوا أَلَيْسَ فِي الْمَجِيزِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]

ونظره إلى الأشياء معصمة دائما بالجلال والحكمة وهو يبعد إلى الدرب المستشير الذي لا تقع عليه العين وسط الرحام

فهو مثلاً كي لا تصار الطفولة العريضة العصاة بأي خلاف يشأ بين
لوالدين، براه يهرد بحفها في برصاع بعض آية

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَى كَامِلَيْنَّ لِمَنْ أَرَادَ
أَنْ يُنْتَمِ الرِّصَاعَةُ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ يَرْزُقُهُنَّ وَيَسْتَرْضِيَهُنَّ
لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا
وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا
فَصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ
أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ
مَّا ءَاتَيْتُمْ بِالْمَقْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا أَنْ اللَّهَ يَمَّا تَعْمَلُونَ
بَصِيرَةً﴾ [البقرة ٢٣٣]

ألا فلسطر مرة أخرى هذه الآية ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا

وَتَشَاوُرٍ﴾ [البقرة ٢٣٣]

ب، الاتصال ها يعني، المقطع وفطام الرضيع فس عامين مسألة تشغل
القرآن تماماً كما تشغله قضية التوحيد والإيمان !!

وهو يشترط إذا كان المقطع قبل عامين أو يتم عن تراض من الأبوس
وتشاور حتى يوفر بهذا للرضيع كن حماية ممكنة.

هذه رعاية همة حارقة ولعل كان الرسول الذي يتبرل عليه القرآن يعيها
حيداً من أجل هذا قال عن ولده إبراهيم وهو يبيكه

«إن أبي مات على الثدي وإد له مريضاً في الجنة»

سكان حق الرضيع في السن حو مقدس غير متجذوذ، وحتى إذا مات

قبل أن يستنكمس أجل رصاعه كد من حقه أن يستنكمسه في فرصة أحلى وأعلى . في الجنة!!

لقد أعطى القرآن هذه القصص اهتماماً فائقاً، وفي أكثر من سورة وفي آيات كثيرة أخذ يقرر حق الرضيع في الثدي الحنون

واب معرى هذه العداية كم أسلف - يتمثل في أن الكتاب الذي يعطي كل هذا الاهتمام لأمور يبدو أنها خارجة عن موضوعه، هو كتاب كريم جاء بهتف بالهدى ودين حق جاء يؤسس وطناً جديداً للعقل وسروح ولصمير جاء بحتم الرسالات ولأدين فما باله يشعل نفسه بالمرضعات والرُصعاء؟

حين أتأمل هذا المعرى الباهر أحد نفسي أمام جلال فريد وهو كذلك يعني كن انعميه باستمرارات اللاتي عيّ الموت أرواحهن متى تنتهي عدتهن؟ متى يصرن في جُلٍّ من الأرواح إذا أردن؟ ويعسى بالمصنعات بعد رواح، وبالمصنقات من قبل أن تمسوهن ويكف بأس السحاهلية عن الأظمال الذين يقدمهم بأوهم حشة الإملاق

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام ١٤٠]

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَسْبَ عَاقِبَةِ النَّاسِ﴾ [الأنعام ١٤١]

وعن السات اللاتي كد يصيهن الواؤد والدمس في التراب

﴿وَإِذْ نُسِرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ طَلَّ وَحَهُم مُّسَوِّدًا وَهُوَ
كَبِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَتَوَرَّى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ
أَيُّكُمْ عَلَىٰ هُوٍ أَمْ يَدُسُّ فِي التُّرَابِ إِلَّا سَاءَ مَا
يَحْكُمُونَ﴾ [الحمل ٥٨-٥٩]

وحين يرى القراء العظيم فاشبه الربا تمسوا «والمائدة» المهيطة تفتح
عافية الناس ونهراً حيانهم، يرسل آياته المشرعة

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ رِبْيًا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ
الَّذِي يَتَحَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا
إِنَّمَا أَنَسِيعٌ مِّثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا
فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْهَىٰ فِيهَا مَا مَلَكَ وَآمَرَ
بِأَنَّ اللَّهَ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ﴾ [البقرة ٢٧٥]

قالوا ﴿إِنَّمَا أَنَسِيعٌ مِّثْلُ الرِّبَا﴾ [البقرة ٢٧٥]

حجة داحضة أرادوا بها أن يبرروا حريمة الاعتدال التي يعتدونها بها
حياة الناس تحت ضغط الحور والوحدة، فيجبههم القرآن بالحكم لحاسم

﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ﴾

ثم يتبع هذه الآية بآيات أخرى

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيدُ الصَّدَقَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٣٥﴾
إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ

لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٩﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٨٠﴾ فَإِن
لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتِغُوا فَالْحُكْمُ رُءُوسُ
أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ [النقرہ ۱۷۶ ۱۷۹]

بات رادعة قارعة يصممها لقرآن كل غيرته على الصعفاء، وكل نفمته
على مصاصي السماء

من أجل هذه، لم يكذب المسلمون يروون قرآن الله يحرمه على هذه
الصوره الرهيبة حتى سارعوا إلى سده عنهم، ومن كان منهم يبعث به بس
تحريره وصنع كل ما كان له فيه، وسترده محض ماله لا غير، وحتى رأس
ماله هذا راح يُظهره بفيض من الصدقات والإعناق على المعسرین
كان القرآن يتتبع آلام الناس فيصدها، وجراحاتهم فيصمدها
ومشاكلهم فيقول فيها قولا بديعا

كان كأنما عيه على كل حركة وكأنما أدنه على كل همسة، فلا يكاد
يسمع أيما إلا حفت بالنحدة ولا سؤالا، لا سارع بالحواس، ولا يكاد يرى
عثرة إلا بادرها بالهدى، ولا ظلمة إلا بلمده بالصياء

كان دائما

﴿يَهْدِي إِلَيْهِ هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ
يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [البقره ۹۰]

الفصل الخامس

عن وجهة الدين

﴿أَقِمُوا دِينَ وَلَا تَنفَرُوا فِيهِ﴾

1. 2. 3. 4. 5. 6. 7. 8. 9. 10. 11. 12. 13. 14. 15. 16. 17. 18. 19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100.

مد بدأ القرآن يتنزل إلى أن أتم حديثه وبلغ حتمه، وهو حريص على
أن يث في وعي الناس أنه يحاط بهم جميعا، ويشد الحير بهم كافة
ولقد دعا الرسول أول ما دعاه إلى أن يندر عشيرته الأقربين
ثم أمره أن يندر أم القرى - مكة وما حولها

ثم دعاه ليحمل مسئولياته تجاه البشر كلهم مذكر إياه أن هد
القرآن الذي يتنزل عليه ليس كتاب قبيلة ولا كتاب أمة إنما هو ﴿ذِكْرٌ
لِّلْعَالَمِينَ﴾ [يوسف ١٠٤]

ولما هال الرسول صحامة العناء ولعله ساءل نفسه كيف سيقبل هذه
الآيات والهدى إلى العالمين، قال له القرآن:

﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَعُ﴾ [الشورى ١٨]

ولقد صدق الله وعده، وحقق القرآن بموعته، فسارت آياته مسير
شمس في كل الدنيا وكل الأجيال
والقرآن الذي جاء ينادي «العالمين» يعلم أن من قبله كُتُب، وديانات،
ورُسل، ومؤمسين

ولم يكن له بد من أن يبدأ دعوه العميقة الشاملة ببيان مكانه من تلك

لكتب والرسالات ومكائنها

ولقد أعدتها واضحة ميسرة أنه ليس بدع من الكتب، وأنه لا يبدأ بها
حديدا لم تعرفه الحياة من قبل، إنما يستأنف الرحلة المباركة التي بدأتها
كتب سابقة وأنبياء سابقون

إن القرآن وإن كان يسح خيوط دعوة جديدة إلا أنه إنما يسمت من
صميم ترشد الأول، وإنما يحمل راية إبراهيم وموسى وعيسى، ويسم
بلسان عربي مبين نفس الحجة البالغة التي صدحت بها من قبل التوراة
والإنجيل.

وهكذا خاطب القرآن الرسول فقال:

﴿مَّا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [ص ٤٣]

نحن الآن أمام عرص من أجل وأسمى الأعراس التي ركنها القرآن
هذه لعرص الجليل لظاهر يتمثل في أبهاك دينا واحدا وليس ثم
أديان شتى.

ألا فنمصر مع هذه السطور من بحث في أناة وإنشاء كبيرين، فهي
سبطاها القرآن الكريم بأعظم محاولاته وأسمائها
إنه يبدأ بالرسول وبالدين أمثوا معه فيؤكد لهم هذه الحقيقة تركز عليها
أبصارهم وبصائرهم:

﴿مَّا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [ص ٤٣]

ويزيد هذا تبيانا فيقول:

﴿سَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى
أَنْ أَتِمُّوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [النور ١٣]

ويعلن احرامه وتوقيفه للكتابين اكبرين لدين حملا، رسالة من
قبله التوراة والإنجيل، فيقول

﴿وَقَمَّيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا
بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآيَاتُنَا وَتِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الَّتِي
كُنَّا نَكْتُبُكَ فِيهَا وَمَا تَنفَرَقُوا فِيهِ﴾ [النور ١٣]

ويبارك لمؤمن بعيسى وبحسن وصفهم قائلا

﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا أَفْئِدَةً
وَرَحْمَةً﴾ [الحديد ٢٧]

ولكي لا تصيح معالم الوحدة الدينية، وتتقطع أواصر ارحم وتقرى
الناصية في كل رسائل والكتب ذهب الفراء يقاوم الدين يحرفون اتوراه
والإنجيل وما أنزل من عند الله . . وبأداهم

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلِيْسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ
الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران ٧]

ولكنه وهو يقاومهم يحرض على ألا يسلك تجاههم مسوك يريد من
حدة الخلاف ويصيب «وحدة الدين» بأذى فهو يبادر ويعلن أن ليس أهل
الكتاب جميعا ممن ينسبون الحق بالباطل ، ولا ممن يحرفون الكلم عن

مواضعه ، بل إن فيهم لأمر لصادقين

﴿يَتَّبِعُوا سَوَاءً يَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ
آيَاتِ اللَّهِ ءَايَاتِ الَّذِينَ وَهُمْ تَسْتَحْذِرُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ
بِآيِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ سُرْعُونَ فِي الْحَدِيثِ وَأُولَئِكَ مِنَ
الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران ١١٣-١١٤]

﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ
يَعْتَدِلُونَ﴾ [الأنعام ١٥٩]

وحتى أولئك الذين يحرفون الآيات ويتبعون الصعاب وانمتاعب أمم
لقرآن من أهل الكتاب ، يوصي القرآن بهم حبراً فيقول

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ ؕ لَا يَأْتِيهِمْ خَيْرٌ
إِلَّا الَّذِينَ طَغَوْا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُرِلَ إِلَيْنَا
وَأُورِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُكُمْ وَنَحْنُ بِهِ
مُسْلِمُونَ﴾ [التكوير ٤٦]

به حريص على أن يقرر «وحدة الدين» ، أولئك الذين آمنوا بكتاب
واتبعوا رسولا ليسوا سوى حوذة أشقاء لكل المؤمنين في كل الأمان ولأيام
والأحيال

وهو يوصي المؤمنين أن يقرروا هذه الحقيقة ويهتفوا بها دوماً حتى
حين يجادلون أهل الكتاب عندهم أن يقولوا ﴿ءَامَنَّا بِالَّذِي أُورِلَ إِلَيْنَا

وَأُتِرَ إِلَىٰكُمْ وَرِثَتُهَا وَرِثَتُكُمْ وَجِدُ ﴿١٠٢﴾

وانقرآن يدعو أبناءه إلى اعتناق «وحدة الدين» ويحفل لإيمان بها حرة من صميم العقيدة والإيمان هكذا تفصح الآيات السالفة، وهكذا تفصح هذه الآية

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَكُتِبَ
الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ، وَالْكِتَابُ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ
وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [البقرة: ١٣٦]

وهو يصف لمؤمنين بأنهم

﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [البقرة: ٤]

وبعد أن يُرسي قواعد هذه الوحدة هي قلوب المسلمين يذهب إلى أهل الكتابين الكبيرين «توراة والإنجيل» ليعالج التمرق الذي جبرأ به على إيمانهم وبدأ يقرن فيعبر عجيبة كيف يحتف بدين يتوب كتاب مقدسة، مصدرها جميعا واحد وعابها كلها واحدة

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ الْبَصَرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ
النَّصْرَىٰ لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتَّبِعُونَ
الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ١٠٣]

ثم يسارع فيسأهم «ماذا يكفرون بمحمد؟»

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [البقرة: ٢١٣]

ولماذا يكفرون بالقرآن وهو مصدق لما معهم من كتب، وداع إلى
حترمه والإيمان بها؟

ولماذا يكفرون بالإسلام إن كانوا مؤمنين؟

إن الإسلام ليس عنواناً على طائفة معسرة من الناس؛ بل كل دين
سلام، وإبراهيم أبو الأنبياء جميعاً كان ديه الإسلام وكل دربه
مسلمون

فالدِّين كتابهم التوراة، ودين كتابهم الإنجيل، لا مدد في تقدير
القرآن أن يكونوا مسلمين، لأن إبراهيم الذي جاء موسى وعيسى ومحمد
على عقبيه وساروا على نهجه كان أول المسلمين

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا
مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران ٦٧]

﴿وَإِذْ رَفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا
تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [١٦٧-١٦٨] ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ
لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة ١٢٧-١٢٨]

فالقرآن إذن لا ينشئ دينا جديدا، إنما يبعث من جديد دين إبراهيم

﴿إِنَّكَ أَقْلَدَ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِي اتَّخَذَهُ هَذَا النَّبِيُّ
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران ٦٨]

وهو يرفع نفس لراية راية التوحيد، ويعيدها إلى مكانها لأعلى،
بمختار كلمة «الإسلام» لا لتمييزها قومًا من قوم، ولكن لأنها العنصر القديم
تراث إبراهيم

وإبراهيم نفسه أول من سمي «إسلاماً»
ومفهوم كلمة إسلام تتسع لكل مؤمن في كل زمان ،
فالمسلم عند انقرآن هو مَنْ

﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
حَنِيفًا﴾ [البقرة ١٢٥]

ولهذا ، فالقرآن في حواره مع أهل الكتاب يعجب ويتساءل لماذا
اختلفوا وتقسّموا إلى «يهود» و«نصارى»
أليسوا جميعاً أبناء إبراهيم؟
وإذن لماذا لا يسبّرون على هدايته؟
لماذا يقاتل بعضهم بعضاً ، ويقول لليهود ليست النصارى على
شيء ، ويقول آل ، نصارى ليست اليهود على شيء؟!
ولماذا ، وصرى من أهل كتاب يجدلون ويماثلون أهل القرآن وهم
لهم إخوة؟

﴿وَقَالُوا كُفُّوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَتَدَوُّا فَنَ بَلْ مِلَّةَ
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة ١٢٥]

ويسألهم القرآن أيضاً لماذا وأنتم أبناء إبراهيم تقاومون السي الذي
جاء يبعث ملته ويحيي عقيدته؟

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ
مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ

حَلِيلًا ﴿السَّاءِ ١٢٥﴾

إن الذين نلذي جاء به موسى ، والذي جاء به عيسى ، والذي جاء به محمد ، هو في حقيقة دين واحد ، ما دم الكل أساء إبراهيم وهذا الدين الذي بدأ إبراهيم ، ثم حمل أمانته أبىء كثيرون في مقدمتهم موسى والمسيح ، يحتتم يوم بمحمد ، ويستكمل موضوعه وبناءه بالقرآن .

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ السَّاءِ ١٣

وهذه الأجيال تمتدوقة والصفوف الهائلة من لشرك الذين تحت راية لدين من إبراهيم إلى محمد إنما هم في حقيقةهم أبناء أمة واحدة ووطن روحي واحد

﴿يَنْ هَدِيَهُ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ (الأنبياء: ٩٢)

ولماذا تقطعوا أمرهم بينهم ؟ هكذا يتساءل القرآن وبما يكفرون بما أمر على محمد وهو الحق من ربهم ؟ لماذا يؤمنون بكلمات الله الألى ويجهلون كلمته الأخيرة ؟

هل الإسلام أمر طارئ عليهم ؟ أبداً إنه لم يكن كذلك قط من كان ولا يزال .

﴿قَلَّةٌ أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الحج: ٧٨)

هل تعصب لنفسه وانطوى عليها ؟ أبداً من اعتبر الإيمان ناقصاً

ومردوداً ما لم يستوعب نقديس جميع الرسل وجميع الكتب وكل المرحلة السابقة من الدين

﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَيَسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن دَنبِهِمْ لَا نَفَرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٦]

هل احتصن أتباعه دون الآخرين بفضل الله ورحمته؟
في الآيتين التاليتين أحكم جواب

﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ ءَمَارِيهِمْ قُلْ هَكَأُو۟ا بُرْهَانُكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ تَكُن مِّنْ أَسَنَمٍ وَجْهَهُ يَوْمَ وَهُوَ يُحْشِسُ قَلْبَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١١-١١٢]

هكذا يضع القرآن هذه المقابلة الفصلية .

بينما يردّد بعض أهل الكتاب يومذاك، من اليهود والنصارى أن رحمة الله خالصة لهم وحدهم، إذا ما قرأ يقول لهم لا، بل هي لكل من يحمل قلنا ويأتي عملاً صالحاً هي لكل من يُسلم وجهه لله وهو محسن

﴿إِنَّ الدِّينَ ءَامَنُوءَ۟ا وَالْذِّكْرَ هَادِءُ۟وَا وَالصَّيْثُونَ وَالنَّصَارَىٰ
مِّنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ [مائدة: ٦٩]

هكذا يصرب القرآن مثلاً ليس يشبهه مثل في راحة الأفق وعالمية الدعوة . فهو يقول :

﴿إِنَّ الْبَيْتَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَشَدُّ﴾ [آل عمران: ٩٦]

وما الإسلام ؟ إيه .

﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [آل عمران: ٩٥]

﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [آل عمران: ٩٥]

ومن إبراهيم ؟ إيه أبو الأسياء جميعا

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَهْدِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨١﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٣﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٤﴾ [النجم: ٨١-٨٤]

هذا - إذن - كما يقرر لقرآن إبراهيم أبو الأسياء ، قال الله له

﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]

وهو أيضا الرائد الأول والرسول الأول للدين

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾
وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ نَبِيَهُ وَتَعْقُوبَ نَبِيَّ إِذْ أَلَّهَ أَصْطَفَى
لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ
شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا
تَعْبُدُونَ مِنِّي نَعْبُدُ إِلَهُكَ وَإِلَهُ آبَائِكَ
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًُا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ
مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة ١٣١-١٣٣]

فما دام الدين دين إبراهيم وما دام إبراهيم أبا الأسيء جمعا، وقد
أرحم الله كل من دام أهل الكتب حسيبا يُقروا بهذه الحقيقة،
ويروا في إبراهيم عليه السلام الأب والمعلم فمادا إذن لا يسيرون
صفا واحدا تحت راية إبراهيم؟

بهذا المنطق الصادق الأخاد عرّض القرآن قصة «وحدة الدين»، وعلم
محمدا أن يقول

﴿إِنِّي هَدَيْتِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام ١٦٦]

وأذن بين الناس جميعا قائلا

﴿أَقِمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى ١٣]

ولكن إذا كان الدين وحده فقيم إذن كان لأسياء معيدين،
ولرسل الكثيرون؟

إن قرآن يعلمنا أن الناس تحتلف ألسنتهم ومشاكلهم واستعدادهم،
من أمته إلى أمة ومن حيل إلى حيل، وذلك يقتضي أن يكون لهم هداة
بحر حون من نفس البيئة ونفس الصموف.

﴿وَبِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد ٧]

هداة بجلون روح لأمة، ريعملون حصائصها ويدركون مشاكلها،
ويتكلمون لسانها

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ،
يُخَبِّرُكُمْ﴾ [إبراهيم ٤]

وهؤلاء الهداة والمرسلون، مهما يتتبعوا ويكثروا فهم لا يتناقصون،
أند بما يركرون جميعا بأساليب شتى على حقيقة واحدة، هي الحق والغير
هذه الحقيقة التي هتف بها قديما إبراهيم:

﴿أَبِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [صافات ٣٢]

﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون ٥١]

فالإيمان برسول واحد يقتضي الإيمان بكل المرسلين، والإيمان
بكتاب يقتضي الإيمان بالكتب جميعا

من أجل ذلك طالب القرآن أتباعه أن يؤمنوا بجميع الرسل ولأسياء
والكتب، ليحققوا بهذا لإيمان «وحدانية الدين»

كما صالبا أهل التوراة وأهل الإنجيل أن يؤمنوا بمحمد وبالقرآن،
ليحققوا بهذا الإيمان كذلك «وحدة الدين»

واعتبر القرآن أي نُكوص عن هذا السيل نُكوص عن شرعة إبراهيم
كما قرر أن العصيدة تتعرض للمحطرات الحسيم إذا أكر صاحبها رسولا من
الرسلى أو كتابا من الكتب.

﴿إِنَّ الدِّينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ
يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ
وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَسْجُدُوا لِبَيْنَ ذَلِكَ
سَبِيلًا ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا
لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِمًّا ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
وَلَمْ يَفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ
أُجُورَهُمْ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَظِيمًا رَّحِيمًا﴾ (البقرة ١٥٠-١٥٢)

ولقد أعطى القرآن جميع الأشياء من ولائه وحبه واحترامه عطية مُقبضا
وحياهم في أنفسهم وفي جهودهم بحيات طيبات.

فعن إبراهيم قال:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَتْ أُمَّةً﴾ (النحل ١٢٠)

وعن داود قال:

﴿وَعَاثَنُوهُ اللَّهُ أَلْمَنُوكَ وَالْحُكْمَ﴾ (البقرة ٢٥)

وسليمان :

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص ٢٠]

وإدريس :

﴿إِنَّمَا كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَالِيًّا﴾ [مريم ٥٦-٥٧]

وأيوب :

﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص ٤٤]

ويونس :

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات ٢٩]

ويوسف :

﴿إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يوسف ٢٤

ولوط :

﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل ٧٥]

وموسى :

﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَتِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف ١٢٤]

وهارون :

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ تَفْهِيمًا وَوَصَّيْنَاهُ وَدَاودَ
يَلْمِزِينَ﴾ [الأنبياء ٨٠]

ونوح

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِزْرَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران ٣٣]

وركريا

﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدُكَ وَكَرِيًّا﴾ [مريم ٢]

ويحيى

﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَبَيِّنًا مِّنَ الْمَسْلُومِينَ﴾ [آل عمران ٣٩]

ومريم

﴿يَكْمُرُ بِهَا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الْقُرْآنَ وَالْصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران ٤٢]

وعيسى

﴿سَمِعَهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَحِيَّهُ فِي الْغَيْبِ وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران ٤٥-٤٦]

﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة ٨٧]

جميع الأسياء هود، شعيب، صالح، إدريس، إلياس، جميع الأسياء عليهم الصلاة والسلام حياتهم القرآن ورفع مشاعلهم عاليا

ولكي لا يدع منهم أحدا دون أن يذكره بحفاوة قال بعد أن فصل
أسماءهم تفصيلا .

﴿ مِنْهُمْ مَن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ
عَلَيْكَ ﴾ [عافر ٧٨]

وهو من خلال عرض سيرهم يكشف عن وحده الدعوة والدين لتي
انتظمت جهادهم جميعا فما من نبي منهم ولا رسول إلا كانت أولى كلماته
لقرمه .

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [الب. ٢٦]

كلهم هتفوا بهذا المبدأ المقدس . .

كلهم بلا استثناء حاءوا ليحرروا الضمير للإنساني من عبوديته الهدية
للأوثان ولأصدم ، وليصبوه بالإله الحق لدي يس كمشه شي*
وهو هو لباب الدين وقاعدته .

بدأ كل رسول بدعوة الناس إلى الله أن يحد الأحد ويسر عمره كله
لإحقاق هذا الحق ثم عن طريق هذا الإيمان وبقوته الي تستقر في نفوس
المؤمنين يواجه كل رسول نقائص قرمه وحطايهم فيعطهم فيها ويهاهم
عنها ويقدم لأمت الحلول المسامية لمشاكلها

أم المضمون الحي لكل كتاب وكل دعوة فواحد لا يغير هو الإيمان
بالله والعمل الصالح ، هذا الذي عبر عنه القرآن في إيجاز وشمول :

﴿ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا ﴾ [نعت ٣٠]

هذا هو ما يريد أن يضع أسامه ويعلي بناءه هذا هو الجوهر الذي
 نالت مواكب المرسلين لتأدي إليه عقول لاس وأفندتهم
 فكيف إذن يصبر الدين، الذي هو أداة جمع لا تشنيت، ومبيل وحدة
 لا فرقة كيف يصير أو بعبارة أهدى: كيف يصبره السام أداة مُسادة
 وخلاف؟!

إن القرآن يصنع جوهر القصية في مستوى كل بَصير رشيد وإنه يدعو
 البشر إلى صراط مستقيم حين يقول لهم
 ﴿أَقِمُْوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [النورى ١٣]

* * *

2

3

الفصل السادس

عن قضية التوحيد

﴿ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ﴾



من شاء أن يرى القرآن وهو في أروع حالات ترقُّده وتألقه وتحفُّره
وساء قلَّيرُهُ وهو يتحدث عن وحدانية الله وقدرته ورحمته

إن آيات القرآن حين نتحدث عن الله لتبلغ قَمَّةَ لاحداه الذي
ولتهوق لمنطقي وتصول الآيات وتجول في ميدان اكتطت أرضه بالأصنام
والأوثان والشركاء والشبهات

وتكاد تسمع للآيات مثل الصَّلْصَلَةِ وهي تُدْمِمْ عَنِ الْإِلَهِةِ زَانِقَةً
وَلَا رَبَّ الْمَجْلُوسِينَ ، تكاد ترى الآيات ككريمة وكأهلها تُعْدُو ، وتفتحهم ،
وتتواثب ، وندهم ، وتنبذر ، وتطوَّق ، وتساغت متعقبة أباصيل الشرك
وأكاذيبه . . في كل مكان في كل زمان في كل مُنَاسَةِ

والقرآن العظيم حين يتحدث عن الله فربما يتحدث عن الله الأحد ،
فليس الله عنده إلا واحدًا أحدًا ، وحيث يوحد لتعدد لا يكون ثَمَّت بِهِ ، ذلك
لأن الله لا يتعدد ولا يتكرر ولا يتغير

﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١]

والقرآن في هذا لا يرغم لنفسه أنه أتى بحديد بل هو ينادي في إلحاح
أن تلك دعوة إبراهيم ومثله

﴿إِنَّا إِتْرَاهِيمَ كَاكَ أُمَّةً قَانِتَا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنْ
الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل ١٢٠]

فإصرار القرآن على وحدانية الله ورفضه كل تعدد في ذات الله
إصراره على رفض التشبه والتمثل بالنسبة لله الذي ليس كمثله شيء
إصراره هذا وذاك إنما هو تأكيد للحقيقة الأولى التي جاء بها أبو الأنبياء
والمرسلين (إبراهيم) عليه الصلاة والسلام ثم هو تأكيد لما هف به موسى
وعيسى وكل رسول كريم
ومن ثم يفحص لقرآن في تبين هذه الحقيقة وبقص علينا تجربة أبي
الأنبياء مع حقيقة التوحيد

يجبرنا القرآن كيف ذهب إبراهيم عليه السلام يبحث عن الله حين
أحس من تلقاء نفسه أن هذا الوجود لا يمكن أن يحلو من مدبر مقتدر
حكيم

وكان إحساسا رشيدا لم يمهه إيمان الناس جميعهم بالأصنام من أن
يستحيب للحق الذي كان يلح عليه ليراه

﴿وَلَقَدْ ءَايَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدًا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ
عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء ٥١]

رأى إبراهيم أصنام مشيدة وكواكب معودة وأبصر قومه مورعين
بعضهم حاث أمام صنم ياجيه وبعضهم حاث أمام صنم يدعوهم أم أصنام
الأرض التي يسيها الناس بأيديهم ثم يمدونها فقد رفضها في بدهة سريعة
ومضى يقلب وجهه في السماء صارعا إلى الله الحق كي يكشف به

الهدى ويقدر له اليقين

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ
لَأَ أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي
فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ إِلَهِي بِيَوْمِي رَبِّيَ الْأَكْبَرُ ﴿٧٧﴾ لَقَوْمٍ الصَّالِينَ
﴿٧٨﴾ فَمَرَّ رَأَى الشَّمْسَ بَارِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْثَرُ ﴿٧٩﴾ فَمَرَّ
أَفَلَتْ قَالَ يَنْفَوِّرُ إِلَيَّ بَرِيٌّ ﴿٨٠﴾ فَمَرَّ تَشْرِكُونَ ﴿٨١﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ
وَجْهِيَ لِلدِّينِ فَطَرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا
أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام ٧٦ ٧٩]

هكذا يجمعنا القرآن الكريم بأبي لأسياء (إبراهيم) وهو بطالع الحقيقة
بعد طون عاء ويعلن أن إلهه وإله الناس واحد فاطر السموات والأرض
ويسبغ لقرآن تجربة أبينا إبراهيم فسقل إليها حوراه مع أبيه ومع قومه
حور قضية لإيمان

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَأْتِ بِتَأْتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ
وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٨٢﴾ يَأْتِ بِتَأْتِ إِلَيَّ قَدْ جَاءَنِي مِنَ
الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٨٣﴾ يَأْتِ بِتَأْتِ
لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٨٤﴾
يَأْتِ بِتَأْتِ إِلَيَّ أَحَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ
لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم ٨٢ ٨٥]

ويجيبه أبوه .

﴿قَالَ أَرْغَبُ أَسْتَ عَنِ الْإِلَهِ يَتَارَهُمْ لَيْسَ لَمْ تَسْأَلْهُ
لَا زَجْمَكَ وَأَهْجُرِي مَيْتًا﴾ [مريم ٤٦] .

ويجيبه إبراهيم

﴿قَالَ سَلِمٌ عَلَيْكَ سَأَسْقِئُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ
بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَرِلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾

[مريم ٤٧-٤٨]

ويمضي لقرآن يعرض تجربة إبراهيم ، مسلطا عليها الأصواء في أنوار
شئ ، ليظهر كل بهائها وكل دلالها

والقرآن إذ يُغنى بهدء تحربة الدهرة ، إنما يدعم حقيقة لإيمان
و لتوحيد دُعما وثيقا ويعطي لئس من رائد هذه الحقيقة قدوة تحلُّ عن
الطير في ثباتها وصدقها وررعة تصارها لقد ختال قومه عليه ليفسوه عن
إيمانه فأحققوا ثم لجأوا إلى تحويله وترويعه سفة كهنتهم قاصين عليه
لأساطير نلوا الأساطير متصمة عصب الآله الذي حاو من كمر وعدائهم
لشديد السي دمدوا به على من جحدهم واستكف عن عدوتهم !!

فما كان جواب (إبراهيم) إلا ضلصنة بقيبه وجنجلة بإيمانه وهتاف
عال باسم ربه الأحد الحفيظ الكبير المتعال .

﴿وَحَاجُّهُ قَوْمُهُ قَالَ تَتَلَوْنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَسَ وَلَا
أَحَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي

كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَفَىٰ أَحَافًا مَّا
 أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ
 بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ
 كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ
 أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾

ويعرّض القرآن مشهدا آخر ، مشهد ابدي فتنة ملكه وعمره حبه ولعده
 كان ملك (ناس) فأراد أن يهتن الخليل عن إيمانه

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ
 الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ
 أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمَرِ مِنَ
 الْمَشْرِقِ فَأَبِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا
 يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الفقرة ٢٥٩

و القرآن يسوق هذه المحاورة ليُريّا بها كيف كان ير هيم يُفصح عن
 إيمانه بالمنطق .

ذلك لأن الإيمان بالله وجوده ووحدانيته ، ليس معرّا من لألعدر ولا
 أخحية من الأحاجي ، بما هو حقيقة تحد في لعقل وفي لمصطق أداة لتعسر
 عن نفسها ، وإقامة الحجة على صدقها

وعندما سأل (فليك ناسل) سيّ الله إبر هيم برهانا لم يأت به حارقة من
 الحوارق ، بل توسّل بالمصطق فأجابه برهاسي قصة الحياة والعدم فحيثما

تُفْقَبُ بَصْرَكَ تَرَى وجودًا شامحًا وناميًا، وتحد حياة متجددة دائمة مهده
البيضة التي يحرق منها ديث يصبح أو طائر يطير . وفطرت الماء نسي
يتشكل منها، الإنسان الذكر والأنثى هن أصنامكم هذه تصنع من ذلك
شيئا أو تُحدث منه أمرا؟ كلا . وَلَكِنْ ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُخَيِّمُ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة،
٢٥٨] ويحييه لملئ في سحرية عجيبة ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [البقرة، ٢٥٨]

ذلك أنه يتصور تحت وطأة صلبيه وجسروته أنه حين يدعو مثلاً .
رجلين قد حُكِمَ عليهما بالإعدام لحرم، فترفع، فيعمو عن أحدهما ويسجر
الحكم في الآخر يتصور أنه لو صنع شيئاً كهذا يكون قد أمدت وأحياا

ويكن إبراهيم عليه السلام يملح من القبطية و يهدى ما يرب به عن
مقشة هذا الحواء فيتخطأ، في سهولة إلى برهان حر، وهو أبسط برهان
كربي يستمد جوهره وشكله من معطيات لعقل والحس فيقول ﴿فَإِنَّ
اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ [البقرة ٢٥٨]

في تهكم قاصف مدحوق، وهو في نفس الوقت منطوق واضح وصادق،
أدلى إبراهيم ببرهانه الثاني .

إن هذه الشمس التي تمضي في حركة مقدرة موفو به لا تفعل ذلك
وحده بل إن لها رباً يمسكها ويهديها فمرها أن تقف أو غير - إذا كنت بها
- مدارها ومسيرها وحركتها

ثم يقول لقرآن في حُجُور وتهل ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة ٢٥٨]
ويقلنا القرآن إلى مشهد، حرتو لي فيه الحجة البالغة داحضة أو هام
الشرك وأباطيل المشركين :

﴿وَأَتْلُ عَنَيْهِمْ نَأْ إِرْهِيمَ ۖ إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَا
تَعْبُدُونَ ۖ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظُلُّهَا عَنَكُمِينَ ۖ قَالَ
هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ ۖ ذِ تَدْعُونَ ۖ أَوْ يَفْعَلُونَكُمْ ۖ وَيَصُورُونَ ۖ
قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ۖ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا
كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۖ أَشَرٌّ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ
عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ۖ أَلَيْسَ خَلْقِي فَهُوَ يَهْدِي ۖ
وَأَلَيْسَ هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِي ۖ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ
يَشْفِينِي ۖ وَأَلَيْسَ يُعِيشُنِي ثُمَّ يُمَيِّتُنِي ۖ وَأَلَيْسَ
أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ السورة ٩ ٨٢

إنه يتحد من مظاهر الخلق دليلاً إلى انحناء، وهو في هذا حذر
يركز على دحض هذه الأصنام وكشف زيفها هو يريد أن يسرع من صدور
قومه كل إيمان بهذه الأصنام وكل ولاء واحترام لها، فإذ ما تم به ذلك
وخرج الإيمان بها من لقلوب رحل مكانه فراع نظيف، قدم هو لإيمان
الحق الذي يملأ هذا الفراغ

هذه هي الخطة التي قصي إبراهيم في انتهاجها عمراً طويلاً، وإن كان
الفرآن يحملها في مشهد وجير فيرين أراً بقده للأصنام تمهيداً
للسكيك فيها وطردها من قلوب عبيده ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ ۖ ذِ تَدْعُونَ أَوْ
يَفْعَلُونَكُمْ أَوْ يَصُورُونَ﴾ (السورة ٧٢-٧٣) ٩

إذا كانوا لا يسمعون مجرد سمع، ولا يطلقون مجرد نطق، وإذا كانوا

لا يملكون لكم بن ولا أنفسهم بمعاً ولا صرا، فأبي منطق وبأبي عقر
تحررون لها سجدا، ولا تعدون الله بحق الذي خلقكم وما تعلمون، والذي
يطعم ويسقي ويميت ويحيي ويهدي ويشتي؟

﴿مَا هَذِهِ اسْمَائِلُ بَنِي آدَمَ هَٰ عَنكَوَدَ ۝ قَالُوا
وَحَدَّثَنَا إِسَاءَا هَٰ عَيْدِي ۝ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَشْهَدَ
وَأَبَاؤُكُمْ فِي صَلَاتِ مُبِيرٍ ۝ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ
مِنَ اللَّعِينِ ۝ قَالَ نَلَّ رَتَكُم رَثَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي
فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝ وَقَالَ
لَأَكِيدَنَّ أَصْنَعَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُودَ مُدِيرٍ﴾ الآية ٥٢-٥٧

بعد حاءت الساعة الفصلة، حيث ردمت نفس إبراهيم بالملت
شهد الهوان الذي يتمرع فيه قومه وهم لا يرعون أناس معهم عقولهم
ومعهم حو سهم، ثم يحملون القرايين و لأطعمة إلى حجرة مسجونة ١١

عجبا ألا سألوا أنفسهم، ماد متصع بها لأصام؟ ثم هم بعدوهم
ويرحون معها ويحافون عداها، فمتى قدمت لإنسان بما أو ألحقت بأحد
صُر؟

أيمكن أن يكون هؤلاء الناس في تقديسهم لهذه الأوثان يصدرون عن
عقل؟ أبدا إنما هم يصدرون عن خوف

فإذا رأوا أصنامهم هذه تتحطم وتنهشم ثم لا يستطيع حتى حماية
نفسها، زالت عنهم المخاوف التي تقودهم إلى عبادتها وهكذا يتحد

إبراهيم قراره

ويعرض القرآن علينا هذا المشهد في حماس وحركة، حتى نكاد نحس كأنه هناك، مع إبراهيم خطوة خطوة وحلجه حلجة وهمسة همسة بل كأنه هناك يحضه ويحرضه، ويهتف به ويهمل به

﴿إِذْ حَآءَ رَبُّهُ يَتَّبِعُ سَلِيمٌ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَتَقُولُونَ لِلَّهِ مَا لَا رُبَّ لَهُ قُلْ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ لَعَلَّكُمْ تَحْشَرُونَ ﴿٨٦﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِمَا عَلَّمَنِى رَبِّى فَأَتَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٧﴾ قُلْ أَتَقُولُونَ لِلَّهِ مَا لَا رُبَّ لَهُ قُلْ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ لَعَلَّكُمْ تَحْشَرُونَ ﴿٨٨﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِمَا عَلَّمَنِى رَبِّى فَأَتَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٩﴾ قُلْ أَتَقُولُونَ لِلَّهِ مَا لَا رُبَّ لَهُ قُلْ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ لَعَلَّكُمْ تَحْشَرُونَ ﴿٩٠﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِمَا عَلَّمَنِى رَبِّى فَأَتَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩١﴾ قُلْ أَتَقُولُونَ لِلَّهِ مَا لَا رُبَّ لَهُ قُلْ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ لَعَلَّكُمْ تَحْشَرُونَ ﴿٩٢﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِمَا عَلَّمَنِى رَبِّى فَأَتَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ أَتَقُولُونَ لِلَّهِ مَا لَا رُبَّ لَهُ قُلْ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ لَعَلَّكُمْ تَحْشَرُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِمَا عَلَّمَنِى رَبِّى فَأَتَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٥﴾ قُلْ أَتَقُولُونَ لِلَّهِ مَا لَا رُبَّ لَهُ قُلْ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ لَعَلَّكُمْ تَحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِمَا عَلَّمَنِى رَبِّى فَأَتَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ أَتَقُولُونَ لِلَّهِ مَا لَا رُبَّ لَهُ قُلْ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ لَعَلَّكُمْ تَحْشَرُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِمَا عَلَّمَنِى رَبِّى فَأَتَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٩﴾ قُلْ أَتَقُولُونَ لِلَّهِ مَا لَا رُبَّ لَهُ قُلْ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ لَعَلَّكُمْ تَحْشَرُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيِّدِي ﴿١٠١﴾ الصافات ٨٤-٩٩

أجل ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيِّدِي﴾ الصافات ٩٩

ويحكى القرآن انتصار سيد إبراهيم، الذي أوجاه الله من محاولات أعدائه، ثم سار في الأرض مُهاجراً ومدنّراً

والقرآن يد بفيض في تبييض هذا السأ لما يعرض كما قبلنا قصة الإيعاز بانه ويوحد بيته في نقطة مدتها وانطلاقها في فجرها البعيد، حيث كان ثمت

مؤمن واحد وسط أقوام مشركين وشيئين .

وكان القرآن يطرح هذا السؤال . ماذا كان المصير ؟

أما الذين قصو أيامهم جانحين أمام أرثاسهم وأصنامهم فقد ذهبوا مع الأوثان نددا وخلّفوا هباء .

أما ذلك المؤمن الواحد، فقد أخرج الله من صلبه أنبياء بررة، حملوا الراية وتوارثوا المشعل .

فكان إسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب

وكان يحيى وشعيا .

وكان موسى

وعيسى ومحمد

وكان هدى ملأ الأرض ، ورحمة أدركت الناس

هذا هو نطل الإيمان إدا ، ورائد قافته عبر الرماح انطويل

هذا هو الذي حياه القرآن في ختم حديثه المفبص عنه فقال ﴿سَلِّمْ

عَلَيْكَ إِذْزَهيمَ﴾ المانات ١٠٩

وهذا هو الأب والمعلم الذي لم يرل القرآن دائما يذكر به رسول الله

محمد، ويدعوه إلى متابعته ويأديه دائما

﴿أَبِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِذْزَهيمَ حَسِيْفٌ وَمَا كَانَ مِنَ

الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل ١٢٣]

﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيكَا قِيَمًا مِّلَّةَ

إِذْ هَدَيْنَاهُمْ حَبِيمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ [الأنعام ١٦١]

هذا هو رائد الإيمان الذي كانت حياته ، وكانت دعوته ورسالته

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ﴾ [المنكوت ١٦]

ثم يل بقرآن قصته بتسدية، ولكن ليركي بها قضية الوحدانية والإيمان من أجل هذا قال وهو محتتم أحد مشاهد لفصة

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [السكر ٢٤]

وقال وهو يهدي الناس إلى حقيقة الإيمان وطريقه .

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ

مَعَهُ﴾ [المنحة ٤]

ومن أجل شرح قصة الإيمان بالله ، ومن أجل شجدة الولاء لها والافتناع بها ، يحكي بقرآن قصة موسى ، يداداه ربه

﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ

لِيَذْكُرَنِ﴾ [١٤ ١٤]

وإد أمره أن يواحه (فرعون) بآياته ، مُسلِّحًا بريمانه ، مزودًا ببقية

﴿أَذْهَبَ أَتَ وَأَخُوكَ بِثَانِي وَلَا نَبِيَّ فِي ذِكْرِي﴾ ① أَدْهَبَ إِلَى

فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَعَنَ ② فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى ③

قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْعَنَ ④ قَالَ لَا تَحْزَنْ

إِنِّي مَعَكُمْ أَتَمَعُ وَأَرَى ⑤ [٤٦ ٤٦ ٤٦]

وعند هذا المشهد يصف القرآن بالمتؤمنين به وقفةً دافعة، ولإيمان بالله
يُمْتَحَنُ في هذا المقام امتحاناً ظاهراً

والرسول الذي يحمل هذا الإيمان في قلبه، دون أن يكون معه شيء
من وسائل القوة والحول، يُواجه «فرعون» بكر بأسه وقوته

والرسول تتحرك فيه طبيعة الشر فيحاف من هذه المواجهة، ويُحاذرُ
عقباها، وهو يساجي ربه ويبثه صغفه وخوفه، فمادام يملك هو وأخوه من
أسباب التوقّي ولحاة؟ ولكن الله يأمره أن يتقدم أو يست وأحوك مؤمنين
بي؟ إذن

﴿لَا خَافَ إِنِّي مَعَكُمْ أَتَمَّ وَرَى﴾ [٤٦]

﴿فَادْهَبَا بِثَانِيَتَايَا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥]

وبصر الحجاج الذي دار بين إر هيم وملك دبل يدور هنا بين
موسى وفرعون

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢٦] قَالَ رَبِّ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ مُوقِنِينَ [٢٧] قَالَ لِيَسَّ حَوْلَهُ أَلَا

تَسْمَعُونَ [٢٨] قَالَ رَبِّ زِدْنِي زَكَاةً وَأَبَايَكُمْ الْأَوَّلِينَ [٢٩] قَالَ إِن

رَسُولُكُمْ أَلَيْسَ أَرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمُحْضُونَ [٣٠] قَالَ رَبِّ الْمَشْرِقِ

وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ [الشعراء: ٢٣-٢٨]

ويتابع القرآن مشاهد القصة مشهداً مشهداً، عارضاً المحر التي
يتعرض لها الإيمان، وانماورات لمهظة التي تقتضيه البصر، لطوي،

والعزم لحليل .

فيمر من ثبات الإيمان في مؤد موسى وهارون حين يواجهان سطح فرعون وعدائه ثم ثبات لإيمان في قلوب السحرة حين بدأوا جودتهم مع لتوحيد قائلين ، ﴿يَعْرِفُ فِرْعَوْنُ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ [الشعراء ٤٤]

ثم أتوا على نهايتها ساحلس ، لله كافر بن فرعون ، وصالح من فرحتهم بالإيمان الذي ألفه الله على أمثلتهم .

﴿إِنَّمَا يَرْبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٧] رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿ [الشعراء ٤٧ - ٨٠]

ثم ثبات الإيمان حين جلس موسى وأخوه يتلقيا الكيا من قومهما من سي إسرائيل الذين أنجاهم الله من السلاء الميس ، مما شكروه ، وما حمطوا الإيمان الذي كان سبب نجاتهم ومؤئل حياتهم ، من مكثوا وصلوا ودهوا يمكرون بمنقذهم ورسولهم .

﴿فَأْتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَتَكَبَّرُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا
يَمُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ
تَجْهَلُونَ ﴿١٧٥﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مَثَرٌ مَّا هُمْ بِهِ وَيَصِلُ مَّا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٧٦﴾ قَانَ أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْعِيحَكُمْ إِلَهَهَا وَهُوَ
فَصَلَّحَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف ١٣٨ - ١٤٠]

﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ قَدِيرٍ مِنْ جُلِيِّهِمْ عِجْلًا
جَسَدًا لَهُمُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُمْ لَا يَكْلُمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ
سَبِيلًا أَتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [١٧٦] وَلَمَّا سَقَطَ

فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ صَلُّوا قُلُوبًا لِّئَلَّا
يَرْحَمَنَا رَبُّنَا وَيَقْفِرَ لَنَا لَكُوفًا مِنَ الْخَسِيرِينَ
﴿١٣٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضَبَ عَلَيْهِمْ قَالُوا
سَلِّطْنَا مِنْ بَعْدِي أَهْلًا لَكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ
وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ
اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْعِثْ فِي الْأَعْدَاءِ
وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي
وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ

الرَّحِيمِ ﴿الأعراف ٤٨ - ٥٠﴾

ثم يؤكد القرآن عظمة الإيمان واستعداءه فبرّد الآية التي أعلن بها
موسى النبي استحقاقه بمؤامرات قومه ومكرهم .

﴿وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
فَإِنَّكَ اللَّهُ لَغَنِيٌّ جَمِيدٌ﴾ (البرسم ٨)

ثم يحيي القرآن الإيمان لوثيق في بصل موسى وهارون ، كما حياه
من قبل في تجربة إبراهيم فيقول

﴿سَلِّمْ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (١٤١) ﴿إِنَّا كُنَّا نَمُرُّ
الْمُحْسِرِينَ﴾ (١٤٢) ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنصاف ٢٠ ، ٢٢)

ويتنقل القرآن إلى تجربة الإيمان مع المسيح

ويجمعها هذه التحربة انكرى من أوسى سجلاتها من قبل أن يشهدها
المسيح ذاته !!

أجل . . مند قالت أمه وهو لا يزال في بطن الغيب .
﴿أَنْ يَكُونُ لِي غَنَمٌ وَلَمْ يَمَسْسَنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ نَعِيًّا﴾ قَالَ
كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَلِيَخَصَلَهُ ءَايَةٌ لِلنَّاسِ وَرَحْمَةٌ مِنَّا
وَكَانَ أَمْرٌ مَّقْصِيًّا ﴿[مرى ٢٠ : ٢١]

فالقرآن يرى في حياة المسيح كلها من ناديتها إلى منتهاه برهاها وثيقا
من ألمع وأصدق براهين الإيمان بالله

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ
تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [ال عمران ٥٩ .
﴿وَجَعَلَ ابْنَ مَرْيَمَ ءَامَةً ءَايَةً وَءَاوَيْسَهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ
فَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون ٥٠]

كما أن موضوع هذه الحياة ، وهتافها العالي ، ومسعاها الدائب ، كل
حول الإيمان بالله .

فبين الدين أسماهم المسيح «المخرب الضال» وقف يزجر دعاة كفر
والعصيان

ووسط انذير كانت «روما» تصدر إليهم عبادة قيصر وقف المسيح
يعلن بكل قوة وهزم أنه لا إله إلا الله

ويتتبع القرآن كلماته وعظاته فيعلمها إليها مركبا بها قضية الإيمان

﴿وَحِشُّكُمْ بِقَابِئِهِ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَنْقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝﴾

إِنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ وَرَبُّكُمْ فَأَعِدُّوا هَذَا صِرَاطًا

مُسْتَقِيمًا ﴿إِل عبران ٥٠-٥١﴾

إنها نفس الآيات التي ردها وردها من قبل إبراهيم وموسى ورث
صانع من الأنبياء والمرسلين ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّكُمْ﴾ [إد عبر ٥١]

وحين يرى لقراء قضية «الوحدانية» تتعرض للحصر بين أتباع المسيح
نفسه، يتقدم حاملا مسئولية لقاء عقيدة يرى أنها تحت وطأة العلو في
التقديس قد خرجت عن الطريق

﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا

تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ

مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَيْفَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ

مِنْهُ فَتَأَمَّنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ اسْتَهْوَا حَيْرًا

لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ

وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ

وَكَيْلًا ﴿إِلساء ١٧١﴾

والقراء بعدم أن عقيدة الثلاث إنما أزعجتها الرغبة المغالية في تكريم
المسيح وتقديسه من أجل هذا يقرر أن وضع المسيح في مكانه من الله،
باعتباره رسول الله وعنده وكلمته، لا ينفص من قدره شيئاً

أو لم يكن إبراهيم نفسه عبداً من عباد الله ورسولاً من رسله؟

وموسى لذي جاء المسيح ليكمل بامومه ، ألم يكن كذلك لا غير ؟
وهكذا يقول القرآن عن المسيح :

﴿لَرِيسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الب. ١٧٢]

ويقل القراء القصبة إلى مستوى أعلى فياقتشها مع المسيح نفسه
حلال حور دار بين الله والمسيح أو تعبير أصح ، حلال دفع دراهمه
المسيح عن نفسه مسئوليته عن عقيدة لتليث

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ
اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا
يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ
عِلِمْتُمْ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ
أَنْتَ عِلْمُ الْغُيُوبِ ﴿١٧١﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ
اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ
فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧٢﴾ إِنْ تَعَذَّلْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَعَفَّرْ
لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٧٣﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَفْعَلُ
الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ

الْعَظِيمُ﴾ [المائدة. ١١٦-١١٩]

إذن فالمسيح قد جاء هذه الحياة ليأخذ دوره بين الدين اصطفاهاهم
الله كي يعلنوا إلهيته ووحديته، ويدعوا الناس إلى الصراط المستقيم

﴿صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَلَمَّْا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ﴾ [الشورى ٥٣]

والقرآن إذ يذيقنا أضواءه على الرؤية امؤمنة التي رفعها المسيح مبادئاً
بالله الواحد الأحد، إنما يفعل ليؤكد الحقيقه التي دأب الهداف بها، ألا
وهي أنه إنما جاء ليبعث العقيدة المدايسة التي نادى بها إبراهيم وموسى
وعيسى، وجميع المرسلين.

فهذه العقيدة هي الدين، كل الدين، وقديماً أوصى إبراهيم بيه فقال

﴿يَنْبَغِي إِذْ أَنَّهُ أَصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ﴾ [البقرة ١٣٢]

وسمى التوحيد، سلاماً، وأسمى الدين إسلام، فأبهى وصيت
السلفة قائلين:

﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة ٢٢]

هكذا عرض القرآن قصة الإيمان والوحيد، إذ يرفع إبراهيم قواعده
ولواءها، وإذ يرفعها كذلك إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأساط، ويرفعها
موسى وعيسى، ويرفعها حاتم المرسلين محمد.

وهو بهذا العرض وخلال له يذكر أهل الكتاب بهذه الحقيقة، ويناقشهم
حولها مناقشة يرجو أن يعيد بها عقيدتهم نور (إبراهيم) ورئيس صديقه وبص
هداه.

والقرآن يدير هذا الحوار المجيد حول قصة التوحيد مع أهل الكتاب،

بعد أن أدركه من قبل وعسى بطان واسع مع المشركين الذين اتخذوا من الأصنام آلهة يعددون، فيبين الرّاعيل لأوون من آياته بزلت تلك لآيات الهاتمة بالإله الواحد الأحد، والتي قدمت في منطق كاسح وثيقة قريش، وأدافت أصنامها من سخريتها اللافة وحجاجها المدمدم

ولقد وصع القرآن فوق كاهل محمد رسول الله عليه لصلاة والسلام هذه الأمانة الكبرى منذ بدأ يُحاطبه ويتّزل عليه:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُنَذِّرُ ﴿١﴾ قُرْ فَأَيُّدِرُ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ نَكِيرٌ ﴿٣﴾ وَبَشَارَكْ

فَطَهَّرُ ﴿٤﴾ [المذثر ١٠-٣]

إن القرآن يدعو أن يهتف باسم الله وحده ﴿وَرَبِّكَ فَكَيْرٌ﴾ [المذثر ٢] أحل «ربك» لأرباب قريش ولا آلهتها التي سحتوها من الحجارة بأيديهم، أو سحتها لهم آباؤهم الأقدمون.

إن كل ولاء وطاعة إن كل موقير ومقدّس من يكون إلا لله ربك، وربّ هؤلاء الحيارى التائهين وربّ الناس جميعا فلا تدع مع الله أحدا.

﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَسَتَلْ إِلَيْهِ تَتِيلاً ﴿٥﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ

وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٦﴾ [الرحمن ٨-٩]

وتتوالى الآيات في سرعة الضوء وتبياه

وتتمم قريش أوون الأمر، وتكتفي بالسحر به، تسري بها عن مصها الخرعة، وتعالب بها محاورها النامية فيذهب نمر من وجهائها إلى الرسول ويقولون له: يا محمد انست لاربك !!

إنهم لا يتصورون إنها غير «أشربة» ١١ وهم يصلون لرسول ما دام -
قد اتحد إليها عبر آلهتهم بأدبهم على سبب ربّه من أبوه؟ ومن
عائلته؟ ١٢ ويجيبهم القرآن في هدوء:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَكَ يَلِدُ وَلَمْ يُولَدْ ۝
لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص ١-٤]

ويدهشون ثم يعودون لسحرية جديدة، نطلها هذه المرة (أبي س
حلف) جاء إلى رسول الله عليه السلام ممسكا بيده قطعة من عظام نالقة،
وصعها في كفه ثم أحدا يستحقها بأصابعه، ويدزوه في الهواء ويقول
للرسول: أترغم أن ربك سيث هذه مرة أخرى؟

ويتقدم القرآن بإجابته الساحرة القهرة:

﴿وَصَرَبَ لَكَ مَثَلًا وَبَيَّنَّا حَقَّ قَوْلِكَ أَنَّ يَحْيَىٰ الْأَعْظَمَ
وَهُوَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس ٧٨، ٧٩]

أجل إن القوة التي حققت الإنسان من العدم قادره على أن تعيده

﴿وَهُوَ الَّذِي يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ وَهُوَ أَهْوَنُ
عِندَهُ﴾ [الروم ٢٧٠]

﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْئٍ وَقَدْ خَلَقْتَنِي مِن قَبْلُ
وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا﴾ [مريم ٩]

﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ وَلَا كُنْتُمْ وَاحِدَةً﴾ [العمان ٢٨]

ثم يصرب لهم مثلاً يجعل الأمر اندي يستكفون عن تصديقه
ويسعدون تحقيقه بديهته من الدلائل المُنسلمة، فيقول متحدث عن الله
سبحانه

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا
الْأَنْهَارَ أَثَرَتْ وَرَبَّتْ إِنَّ أَلْدَىٰ أَحْيَاهَا لَمُخِي الْمَوْتِ يَنْفِرُ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصل ٣٩]

وينمو في صدر قريش الحنق والصيق، فيذهب إلى أبي طالب عم
السي وعد من رجاله يتقدمهم أوس جهل بن هشام، والعاص بن وائل،
والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يعوث، ويدعون على أبي طالب،
ويقولون له:

أنت كبيرنا وسيّدنا فأنصفنا من ابن أخيك... مره أن يكف عن
شتم آلها!!

ويرسل أبو طالب إلى ابن أخيه من يدعوّه إليه
ويحيي لرسول، ويسمع مقالة قريش لعنه فيقول لأعصاء وفده
هؤلاء

«أرايتم لو دعوتكم إلى كلمة هي خير لكم مما تجمعون؟»
ويقول أبو جهل هاتها
ويقول لرسول: «تقولون لا إله إلا الله»، وتنفزع رحالات قريش
ويعلو عواظها، ويقولون:

﴿سَجَرَ كَذَابٌ ۖ أَحْمَلَ الْأَلِمْةَ إِلَٰهًا وَجِدًّا ۖ هَٰذَا

لَشَقَّةٌ عَاجِبَةٌ ﴿[مر ٤-٥]

يُبادي القرآن الرسول فائلا

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا صِدِّيقٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي يُفَصِّلُ الْفَهَامُ ﴿٥٥﴾ رَبُّ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿[مر ٦٥-٦٦]

ويحوص القرآن معركه التوحيد مع أولئك المشركين ، ومع كل مشرك كان أو سيكون يحوصها في غير هوادة ، مُنْصِبًا حججه البالغة ، مُنْشَقًا مطلقه الدكي .

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ

الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْتَفُوا دُعَاءَ وَلِيٍّ

أَجْمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْتَأْذِنُوا لَن نَّبَئْهُمُ الْغَبَّ شَيْئًا لَّا يُسْمِعُوهُ

مِنْهُ صَغْفِرَ الْطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿[الحج ٧٣]

ثم يُذَمِّدُهم عليهم بآياته الداحضة .

﴿قُلْ أَدْعُوا إِلَٰهَ رَبِّكُمْ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴿[سبا ٢٢]

﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا

أَسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكِكُمْ وَلَا

يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿[نساء ١٤]

﴿وَأَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ إِلَهاتٍ لِّتَكُونُوا لَكُمْ حُرًا ﴿٢٥﴾ كَلَّا

سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿[مرم ٨١-٨٢]

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ صَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يُعْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان ٣]

﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۖ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرٌ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الاعراف ١٩١-١٩٢]

وهي ختام الملحمة المحاولة يحطّب القرآن رسول الله مُثَبِّتًا مَوَادَّ عَنِ مَا مَعَهُ مِنْ عَقِيدَةٍ وَإِيمَانٍ .

﴿قُلْ هَدِيتُ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُجُودًا سُخْرًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف ١٠٨]

من خلال هذا الحوار لدؤوب، مع المشركين تارة، ومع أهل الكتاب تارة أخرى، كان القرآن يشرح للناس حقيقة «الله» كان يقود الواحد البشري والعقل الإنساني إلى الله الحق، في يد مُبَشِّرَةٍ وَاصِحَةٍ، وفي منطق جزل ميبين

وكان سبيله لهذا: إعمال العقل، وتحريك قوى البصر والتأمل والافتتاح، فالأحاجي والألغاز والأساطير لا تدل على الله، لأن الله هو «الحق لمبين» والحق المصن إسماء يسار إله في هدى العقل الصبير والرؤى الرشيدة

﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام ٥٠]

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمنون ٨١]

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام ٨١]

﴿أَوْفَرُمْ يَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ [الروم ٨]

﴿قَدْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ سَأَلُ الْخَالِقُ﴾ [اسمكوت ١٠]

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم ٢٢]

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم ٤]

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم ٢١]

فالقراء بقدم «الله» إلى عباده في موكب حافل من آيات قدرته،
ورحمته، وعظمته

ومن هو الله؟

إن القرآن لا يحدثنا عن لونه، ولا عن حجمه، ولا عن شخصه، لأن
الله أعلى وأجل من أن يعرف بهذه الأعراف

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البور ٣٥]

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ

الْبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١]

وردا أردنا أن نعرفه فلندير أنصارنا في الآفاق وفي أنفسنا، فهبك وهما
مري من آياته الكرى ما يدك عليه

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِعِزِّ عَمِّهِ تَرَوْنَهَا﴾ [الروم ٢]

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ تُتَيِّدُ يُغْشَى بِتِلْكَ الْأَرْضِ قَطْعًا ۚ وَفِي الْأَرْضِ قُطُوعٌ مُصَجَّرَةٌ ۖ وَجَنَّتْ مِنْ أَنْتَبٍ وَرَرَّعٌ وَبَحِيلٌ صُنُونٌ وَعَبَرٌ صُنُونٌ تُسْقَى بِمَاءٍ وَاجِدٍ وَتُقَصِّلُ بَقَضَهَا عَلَى نَعَصٍ ۚ فِي الْأَكْلِ ۚ ۚ فِي ذَلِكَ لَا يَتَّبِعُ لِقَوْمٍ يَقُولُونَ﴾ [الرعد ٢٠]

﴿وَسَحَّرَ شَمْسَ سَمَسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد ٢١]

﴿وَسَحَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَحَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [الرعد ٣٣]

﴿وَالْحُومُ مَسَحَرَتْ بِأَمْرِ ۚ ۚ فِي ذَلِكَ لَا يَتَّبِعُ لِقَوْمٍ يَعْفُونَ ۚ وَمَكَدَرًا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخِيفٌ أَبَوْنُهُ ۚ ۚ فِي ذَلِكَ لَا يَتَّبِعُ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾ [العد ١٢-٣]

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

شَيْءٌ فَلْيُزِرْ ﴿[الرعد ٤٥]﴾

﴿وَاللَّهُ أَمْتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بِأَنَّا﴾ [سج ١٧]

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ

نُفِرُّ تَنْفِرُونَ﴾ [الرعد ٦٠]

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الرعد ٦٥]

﴿إِنَّ اللَّهَ بِمِثْقَلِ ذَرَّةٍ لَدُنَّكَ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام ٦١]

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا

سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [البرقان ٦١]

﴿وَالشَّمْسُ تَحْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ

الْعَلِيمِ ﴿٢٠﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَدْرِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ

الْقَدِيمِ ﴿٢١﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْصَرِفُ هَهُنَا وَلَا الْقَمَرُ وَلَا الْكَلْبُ

سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسَحَّوْنَ﴾ [يس ٣٨، ٤٠]

﴿وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَأَفْقَيْنَاهَا فِيهَا رُءُوسٌ دَانِيَةٌ وَفِيهَا

مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْرُودٌ﴾ [الحج ١٩]

﴿أَمَّا حَمَلُ الْأَرْضِ فَرَارًا وَجَعَلَ جَانِبَهَا نُجُومًا

وَجَعَلَ فِيهَا رُءُوسًا وَجَعَلَ فِيهَا الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا

أَيُّهَا مَعَ اللَّهِ نَزَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزل ١١]

﴿وَنَرَى الْجِبَالَ تَحْتَ حِمَاةٍ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ

صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزل ٨٨]

﴿يَتَّخِذُ فِي حَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاَحْتِلَافِ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ لَآيَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [ال عمران ١٩٠]
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي نَهَارٍ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ
فِي لَيْلٍ﴾ [البقرة ٢٩]

﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى
الْلَّيْلِ﴾ [البقرة ٢٩]

﴿يُعْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ﴾ [الاعراف ٥٤]
﴿أَرْسَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَدَّكُمْ سَكَبَعٌ فِي
الْأَرْضِ﴾ [البقرة ٢٤]

﴿وَأَرْسَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۖ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا
وَبَنَاتًا ۖ وَحَبَّتِ الْأَعْقَابُ﴾ [البقرة ١٠٤-١٠٦]

من خلال المظهر في هذه الآيات الكسرى يريد القرآن أن يصل اساس
ربهم وأن يعرفوا إليه تتأملهم وتفكيرهم

قاله هو اقوي المقتدر والخالق العظيم وهو من وراء كل هذا انكون
لمديد ابعد الرحيم العجيب هو من ورثته بقوته وقدرته وإبداعه ، وهو من
ورائه محض

من شاء أن يراه فيها هو ذا في كل آثار رحمته وقدرته

في البينة الصالحة .

في العطرة لهاطلة

في الشعاع، الحافلة

في مواقع انجوم

في الليل إذا يعشى

ونهار إذا تجلى

في الشمس تجري لمستقر لها.

وفي الأرض يمر مر السحاب

في كل ما خلق له من شيء يستطيع أن يرى الله نور السموات
والأرض وبارئهن العظيم

فإذا أردنا أن نعرف طرفاً من صفاته والفرق لا يحل علينا بما نريد

﴿هُوَ أَهْلُ الْقُوَى وَأَهْلُ الْعَصْرِ﴾ [المش ٥٦]

﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [السجدة ٦]

﴿لَا يُخَلِّفُ الْيَمِينُ﴾ [آل عمران ٩]

﴿وَلَمْ يَجِدْ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحراب ٦٢]

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّؤُوفُ﴾ [البروج ١٤]

﴿حَزِيزُ الْمَكِينِ﴾ [آل عمران ٥٤]

﴿أَلَرُّ الرَّحِيمِ﴾ [الطور ٢٨]

﴿لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران ٥٧]

﴿يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ [المر ١٠]

﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [البقرة ٢٠٢]

﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة ١٩٦]

﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام ١٢]

﴿وَهُوَ تَعَزُّزٌ لِلْحَكِيمِ﴾ [طه ٢]

﴿وَهُوَ لَوِیُّ الْحَمِيدِ﴾ [الشورى ٢٨]

﴿بِذَى الطُّولِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيدِ﴾ [عمر ٣]

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء ٨٧]

﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام ١٨]

﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد ٩]

﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبا ٢٦]

﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [فاطر ٢٨]

﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة ٢٥٥]

﴿وَمِعَ كُرْسِيِّهِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [البقرة ٢٥٥]

وأخبار

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ يَخْرُجُكُمْ مِنْ دَارِ
الْأُظْلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾

١٤٣١ هـ

﴿قَدَرِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ نَعَادًا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الصَّنَدُ﴾

فَإِنَّ تَضَرُّعًا ﴿٣٢﴾

على هذا النحو توفّر القرآن على قضية الإيمان والتوحيد كما لم يتوفر على قضية أخرى سواها .

وما كان بوسعها ألا يفعل ، فلقد جاء القرآن يوم جاء إلى دينا مُثْقَلَة بألّهة كاذبة من أصنام الحجر وأصنام البشر .

والمطرة الإنسانية يومئذ كانت تحتاز في كل الأرض ، لا في مكة وحدها ، مِنْحَةً عاتيةً مظلمة

والقرآن الذي يعني تماما مسئوليته عن هذه العطرة كان لابد له أن يردّها إلى جوهرها

وسبيل ذلك أن يردّها إلى الإله الحق ويحررها من كل حصوع ورضوخ

من أجل ذلك ذهب القرآن الكريم يُثَبِّتُ في أفئدة الناس يقينًا كاملاً بأن الله وحده الرحيم الودود هو بارئهم ولهم وممّه وحده يسمدُ الضمير الإنساني سيادته وكيّنه

ويريد القرآن بهدّ أن يحرّر الناس من كل عبودية رائقة يفرصها عليهم لأقوياء دأموالهم أو بسلطانهم أو بما معهم من جاه وصلف

فقضية الإيمان بالله الواحد الأحد ليست مجرد شعار ديني يرفعه القرن بل هو يراها كبرى الحقائق التي إذا خرجت الحياة الإنسانية عن فلكها السيار تبدّدت وتلاشت

وحين نلوا الآيت التي ركنى بها القرآن قضية التوحيد هذه بلمح في

يُسَرِّعُ العرض الإنساني الذي ترفعنا إليه هذه الآيات ألا وهو تحطيم الأغلال
التي نرسم فيها إرادة الإنسان وفتح طريق انتطور والنمو أمام حرية الصميم

* * *

تعريف بالكاتب

حالد محمد خالد

(المتوفى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)

كان مولده يوم الثلاثاء ٢٧ رمضان سنة ١٣٣٩ من هجرة سبي صلى الله عليه وسلم الموافق ١٥ يونه سنة ١٩٢٠ ميلادية، في "أعدوه" إحدى قرى محافظة لشرفية بمصر، والنحو في طفولته بكتاب القرية، فقصي به نصح سوت، جمعته في "ثديها قدرًا من لقرآن، ونعم الفراءه والكنانه . ولما عقد والده - الشيخ محمد خالد - عرته على أن يلحقه بالأهر لشرف، حمه إلى القاهرة، وعهد به إلى "الأكر"، الشيخ حسن" سولي تحفيص القرآن كملًا، وكر ديث هو شرط الالتحاق بالأهر في ذلك الوقت.

تم حفظ القرآن كله في وقت قصير وهو حمه "شهر كما يس ذلك مفصلاً في مذكراته قصي مع لحة" ثم النحو بالأهر في سن مبكرة، وظل يدرس فيه على مئة حقه لأعلام طيله سنة عشر عامًا، حتى تخرج فيه، وبال، شهادة لعالیه من كليه لشريعة سنة ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م، وكان آنذاك زوجًا وأبًا لأثنين من أبناءه.

عمل بالدرس بعد التخرج من الأهر عدة سنوات حتى بركه بهئنا سنة ١٩٥٤، حيث عين في وزارة الثقافة كمستشار لسر، ثم برك انوظائف نهائياً بالخروج الاخيرى على، المعاش عام ١٩٧٦

وبدلت له عروض معربة كثيرة ليل وظائف قنادية في لدوة، سواء في رئاسة جمال عبد الناصر أو أنور السادات، فكان يعتذر عنها، ورفض عروضاً أخرى كثيرة لاسفار يسب لها اسباب، وثرأً ينهي في حياته لسطه المنو صعة اسي بعلب عنها ارهد والصوع*.

وقد تقلبت حياته في أطوار متعددة، من حظه مبكر وسريع لقرآن الكريم، إلى طاب ديه بالأزهر الشريف، إلى شب معطش بمعرفته، نواق إلى نوع الصور والآداب والتفكير، إلى مغمس في السبسة مشعول بها، إلى حطب درع نهر حطبه السبسة أعواد سمير، ثم إلى واعظ بغير دروسه وخطبه العلوب بشوة الإيمان، إلى عابد مشعول بالآخرة، وصوفي مشعول بربه، وهكذا وقد شرح ذلك بالتفصيل في مذكراته لنسب كتبها وجعل عناوينها قصتي مع الحياة.

وفي سن مبكرة التقى بشيخه لمربي الكامل لشيخ محمود خطاب السبكي، مام أهل السنة ومحدد روق الإسلام كما وصفه هو - وكان محبته من أعجيب رمان، وشهداً على ما يبض الله على أولاده وأحبابه من واسع فضله وعطائه (**).

وصفه بقوله "إن وصفه لمن الأمور لصعبة، ولحدث عنه بقدر ما هو شهى وبدي.. يوقع بكتاب في حيرة، وهكذا يكون شاك مع أساء الله، والمرسل، ومع ولادته أمقرين. فحين يشق عسرهم البدي ينصوع بها، وعطراً.. وينقب في بعماء ما آناهم الله من نور وهدى وحكمة بيد أن الاقتراب منهم يفرض عيب من التبعات مالا نصيق والحديث عنهم،

(*) انظر "قصي مع المصروف" لخلال محمد خالد بشر دار المقليم للنشر والتوزيع بالقاهرة

(**) انظر قصي مع المصروف

وتمسير موافقهم، أمر يعسر نذوله، لا عني من يجعل اليه عسره يسراً" (*)

وكما كانت حياته في بواكيرها كالنهر لدى تحشش مبهه بالصبان،
ونصب في ندق وعيوان، فإنه كلما اثرب من البحر هدأت مواجها،
واطمأت مسيرته، حتى إذا امتزج بماء البحر صبر له هذوؤه وشموله
و نساغه.

وحاءت مؤلفه الرائدة كذلك؛ بدأت نائرة متدفقة وانتهت إلى
الروح والبقين.. وفي كاهل كان محلياً، لا ينبغي لأي منها عرضاً من
أعرص انديا من لقد جاء به انديا نعرض نفسها عنه من "وسع بوابها،
فأوصد دويها منه

ومثال عني ذلك أن جمال عبد الصر ورفاقه في مجلس قيادة الثورة
كانوا قد قرأوا كتبه قبل ثورته، وحمسوا بها بدرجة أن عبد الصر كان
يشتري منها - من حبه أحياناً - مئات السح ويورعها على رملاته
الصراط **، ومع ذلك فإنه لما قامت الثورة لم يرد أن يستفيد منها،
وكان عرضها في ذلك عظيمه، ولكنه بدلاً من ذلك وقف ساقداً للثورة
موجهاً لها، مطالباً حكومتها بتطبيق الديمقراطية، فكان صدور كتبه
"الديممر طيه أند" بعد منه أشهر فقط من قيام الثورة في ٢٣ يوليو سنة
١٩٥٢.

وطلب هذه موافقه من الثورة ورجلها حتى نوجت بموقفه الفريد في

(*) من مقدمه الكتاب "أصبح الشيخ محمود عطاب إمام المسد وعطاب" لاسلكة توفيق أحمد

حسن، دار للعلم بالفاهرة

(*) انظر "قصي مع الحياة" فصل حوار مع عبد الناصر

"اللجنة استحصريه" سنة ١٩٦١، وفيها انتقد موقف الثورة من قصاب
لحريه راند بمهر طيه، وعرض ما أراد عند اساصر للممسه من
إجراءات بعصمة ضد من "سموهم - جسد - سنانا الإقطاع، وأعداء
الشعب . بعد أن برعو أموالهم عصاً وطنياً، واكلوا بهم عبر جريرة
ارنكوه، فصارو بعد عر في دل، وبعد عني في وقه وعور، وبعد من في
خوف، ولا يحدون من بدافع عنهم، و سصر لهم فكان هو الصوت
الوحيد الذي ارفع في وجه الصمت والحدوف، مد قفاً عن بحوف طالب
لهم بدلاً من لعزل اليسى "لعدى" السياسى، ولما "حد التصويت
في مجلس عني من بعرض عني إجراءات لعزل اليسى، كانت يده
هي الوحيدة التي ارفع في سماء لقاعة لنى صمت يومئذ - ثلاثائه
وستين عضواً* .

مد كتابه الأول "من هاسد" خرج حيد محمد خالد على لاس
ككتاب قد، وصاحب فكر، ومفوح عن قصيد لأمة وسدا يحدد موقعه
كمصلح جماعى ورعيم فكبرى بعصب به حمهير عصبه من لاس،
وأعحت بكتنه وأفكاره، ليس في مصر وحدها، بل وخرجها أيضا
وطمع "من هاسد" سب طبعات في سس، ثسس، وترجم في نفس
لسه نى صدر فيها، لى الإنجليز به فى أمريكا، وكسب عنه عدة رسائل
وأبحاث جمعه ومفالات فى أنحاء متفرقة من أورب وأمريكا .
ولكن قصرة المؤلف لبعه، وبه الصدقه حملاه - فيما بعد - بقول إنه
عند رى جدوة أعداء لإسلام بكتاب أدرك به أخطأ فيه .

^١ نظم "نفسى مع الحياه" فصل حوار مع عبد الناصر

وهنا ينبغي و حد من موقفه التي امتلأ بها حياته، إذ ظل يفكر فيما دعى إليه من فصل الدين عن الدولة وبملء في دمه حتى أعنى على الملأ رجوعه عن هذا الرأي، فلم يحسن وهو انكسب الكبير من أن يعلن أنه 'خضاً' وراح بصحح دينك لخصاً بكل قوته
فلم يترك وسنة من وسائل دعة هذا التصحيح إلا أنها من مقالات، أو تحقيقات صحفه أو دأعه أو تهربويه.. ثم لم يكتب بهد كنه، فكتب كتاباً كاملاً 'عن فيه صحيحه لرأيه الاول، وراح يـلـس على ن للإسلام دين ودولة، بل إنه جعل شعار الكتاب هو 'الإسلام دين ودولة حق وقوة..

ثقافة وحضارة.

عبادة وسياسة."

وقد حلف - رحمه الله - نروه عذمة كبره تربو على ثلاثين كتاباً، غير المقالات ولا أحدث الكثرة سي لم يجمع بعد وقد نفع الله بأعماله كتب نفع كثيراً، وبتفقه انقراء في شوق، لأنها - ككل أعماله - نسمت بالإخلاص، وتدفقت بالعاطفة الصادقة الحياشة..

وأشهر مؤلفاته، وأكثرها انتشاراً هي 'الإسلاميات التي جاءت فريدة في بابها من حيث الأسلوب، وطرفه الول، وأشهره على الإطلاق "رجال حول الرسول ﷺ" لدى تحدث فيه بعد عن سيرة سيد من أصحاب رسول الله ﷺ، و'حلفاء لرسول ﷺ' 'الذي صمم بين دمه حمه كتب عن الخلفاء الراشدين

١- "وجاء أبو بكر"

٢- "بس بدي عمر"

٣ "وداعاً عثمان"

٤. "فى رحاب على"

٥- "معجزة لإسلام عمر بن عبد العزيز"

وقد ترجمت هذه الكتب إلى لغات كثيرة في أنحاء عديدة من العالم.. ومن كتبه أيضاً: "أبء الرسوب فى كربلاء" و "والموعذ الله" و "لقاء مع الرسول ﷺ" و "كما يحدث الرسول ﷺ" و "كف يحدث القرآن" و "إنساب محمد ﷺ" و "عشرة أيام فى حبة لرسول ﷺ" وغيرها..

أما كتبه السياسية والإسبانية و لاجتماعية و انفسية فهى عديدة كتب منها ثلاثة كتب فى موضوع الديمقراطية وحدها، وهى الديمقراطية أبداً" و "دفاع عن الديمقراطية" و "لو شهدت حوارهم لقت". راجع قائمة المؤلفات فى آخر الكتاب..

وكتب أيضاً مذكراته فى كتاب "قصي مع الحباه"، وقد نشرت لأول مرة فى جريدة "لمسلمون" اسعوده و "المصور المصريه فى ن و حد، ويعد أن تمت طبعت فى جزء و حد فى مؤسسة أحرار سوّم، ثم طبعت طبعة جديدة بدار لمقطم بالقاهرة. وكان آخر كتبه "الإسلام ينادى الشر"، وقد أراد له أن يخرج فى ثلاثة أجزاء.

الأول: إلى هد، لرسول ﷺ

الثانى: "إلى هذا الكتاب" (القرآن)

والثالث: "إلى هذا الدين"

ولكنه لم يتمكن إلا من كسبه لجزء الأول، ثم وفتته اسمه.

أما عن عاده في الكتابة، فإنه لم يكن يحسن كتابته - فسطح - إلا إذا استشعر الحاجة الممحة لذلك، ويكون الفكرة التي يريد الكتابة عنها قد نضجت، وطلبت الظهور، حينئذ يحسن في أي مكان، وفي أي ظروف، ويند في الكتابة دون أن يهتم لما حوله أو يسرع به وقد تمضي أحاديث من حياته سواء دون، أن يكتب فيها شيئاً لأنه لم يجد ما يهيج في نفسه الدافع لكتابته

وقد انسمت كتاباته بأسلوب رشيق بهج، وقدرة فائضة على التعبير و لعوض إلى جواهر، لأشياء، ووصفها بيسر وزوعه، واقدار وكان كثيراً ما يسأل عن السر في جمال أسلوبه فكان يقول:

"إن الأسلوب في الكتابة لا يصنعه شيء إلا رب العالمين

وقد ورد الدكتور شكرا لبيسي في كتابه الذي كتبه عنه نموذجاً من كتابته، وجعله تحت عنوان "عرف لعوى"، وهو العنوان الذي يصف رشاقة أسلوبه وحماله، وثقوده إلى القلوب..

وكن - رحمه الله - طيب النفس، مسشراً في عهده أوفانه، تعلب عليه السكينة والتأمل..

وكن عية في الكرم، عانه في، لتواضع وس الاحلاق، برأ بوالديه وصولاً للأرحام مراعاةً لحقوق الرمانه ولجيرانه، ساعياً إلى احرازهم في قصص حوائج الناس، لا يمتن من كثرة قاصديه، ولا يصير من إلحاح

¹ نوره الثابت: در مدني فكر عماد محمد جمال الدكتور شاكر النابلسي

بعضهم عليه حتى في وفات مرضه، وكان يقول: "مكركه، لجاه
وانسمت حذبه كنها بالرمع في نعال والمصاب ومظاهرة اسفاه، وقد
استفص في وصف ذلك من عرفوه وكسوه عنه"،* ومن دلت نص موقفه
التي أظهرت ما كان عليه من شجاعة ومن مكارم الأخلاق منها موقفه من
الأخوان المسلمين الذين كان قد عرضهم قبل الثورة، ولكنه بعدها،
وبعد أن نكبت الثورة بهم ومرقتهم كل مفرق، طُلب منه مهاجمتهم وبفدهم
فأبى ولم يعصع لإعراء ولا نهديد فائلاً لقد فشلت، لإخوان وبهدب
فكرهم وسوكتهم يوم كان بعض قادة الثورة من محبديهم أو يوم كانوا من
لقوة بمكان.. ما سؤم وهم في المعصلات واستجوت تحت وطأه
التعديت، فقد أوصانا سيدنا الرسول ﷺ ألا نحجر على حريح
وقد نقل الشيخ يوسف القرضاوي تفاصيل هذا الموقف في مذكراته
التي نشرها في جريدة "أفاق عربية" (عدد رقم ٥٧٣).**

كان - رحمه الله - محباً للحجر، مسارعاً إليه، كأنه كان يصف كوكب من
الحجر في نفسه عندما كتب هذه سطور من كتابه "لقاء مع الرسول ﷺ"
"فإذا سألتني - أيها القاريء - ما للحجر؟ أجبت من فوري إنه
لحجر إنه ذلك الذي يجعل الإنسان إنساناً حي القلب، ريان الصمير
وذلك الذي يجعل منك ملائلاً لأخرين، يأوون إليك كما يأوي المحرور
إلى ظل شجرة، أو كما يأوي الضمير إلى عن ثرة بعض دلفاء لبدرد
الحجر.

* جمع قصي مع التصوف" ص ٣٧ وما بعدها جميعه . انقطع بالعاشرة

** جمع "قصي مع التصوف" ص ٤ وما بعدها طبع بمطبع

هو انعكاس إسبست على الآخرين، وإصفاء قصص عن نفسك لخدمة
لكريمة على الحدة وعلى الأحياء.

وإن حير ما يصنع امرء في حياته هو أن يسع حبه الله من رحمة
وبراً، ومحبة ووداً".

فكان محبا للناس، لجميع الناس، مستبساً بهم، مودداً إياهم،
متعافلاً عن أخذ ثمنهم متسامحاً مع من يسيئون إليه..

كان - بحدود - محققاً بأخلاق الإسلام، وإن لم يحرص على أن
يكسو نفسه عظمة.. بل كان به مظهر الرحمن العادي - كسائر الناس أم
سواك وأخلاقه فكانت تدل على عمق إيمانه ورسوخه به.

وكان يعرف ذلك إلى الصوف فيقول في مذكرته

ومره أخرى: "نحى إجلالاً للصوف، فهو لدى سكت في روحى كل
ما روى ظمأه إلى الحير والسكبه والمرحمة والمعدنة، وكل ما بقى في
.. من قربات ومعنم ومعام، ومن قصص وفدرة وإصرار قلبه.. ولا
يرجع البعض بين كل الأسباب، وقس كل لأسباب"

لقد كان - رحمه الله - ممن شرب روح الصوف منذ يقاعته، ولم
يكن تصوفه - لا في فنه، فلم يتم، لى أى من طرفه، بل منه مكراً على يد
شبهه أسكى رضى الله عنه (*)

وكان محباً لأهله أيما وجدوا مداوماً على زيارة أضرحة أهل
البيت، وأولياء الله الصالحين .

ومن أقواله المأثورة:

• "إنى لا أرفض إنساناً لأن فيه خطأ أو اثنين أو عشرة، وأرفض معه

- بقية فضائله، فقد توجد فيه فضيلة واحدة تزن صلاح مائة عابد .
- "إن الحب هو جوهر الحياة.. إن الحب يولد في النفوس طاقة لا تعدلها طاقة أخرى في الكون ولا تقابلها"
- "الله سبحانه لا يعيق المهاجرين إليه، والمسافرين إلى رضوانه، بل يجعل لهم الأرض مهداً، والسماء مَبلاً"
- "على رأس فضائل الحياة وشعار الدين تقف فضيلة الحب"
- "لا بد للحب كي يصفو ويدوم أن يكون خالصاً، صافياً، نقياً، وبكلمة واحدة: أن يكون لله رب العالمين"
- "كما ننام نموت.. وكما نستيقظ نُبعث.. ومن كان في شك من الموت والبعث، فليعيش إن استطاع بلا نوم وبلا استيقاظ"
- "علاقة العبد بربه تتطلب مراجعة مستمرة للتبعات التي تفرضها والسلوك الذي نحمل به هذه التبعات"
- "إننا من طول ما ألفنا بعض الآيات القرآنية، وبعض الأحاديث النبوية، أصبحنا لا نهتز من أعماقنا للسُرِّ الباهر الذي تحمله، والحكمة الثاقبة التي تمنحها"
- "إن صحبتنا الصالحين الذين لم تجمعنا بهم خلطة مباشرة تكشف عن حقيقة أنفسنا ومالها من حظوظ الخير والفضيلة"
- "لا تجد مؤمناً إلا حياً، ولا منافقاً إلا عديم الحياء"
- "الإسلام لم يأت ليعلمنا أخلاق الصوامع.. بل ليعلمنا أخلاق المدينة"
- "الكذب مفسدة مطلقة، لأنه سريع النمو، سريع الانتشار، وله ضراوة كضراوة الخمر أو أشد"

- "الرياء آفة تمحق الأعمال وتردها تراباً في تراب".
 - "التواضع نعمة من الله يهبها لكبار النفوس".
 - "الإيمان بالقدر لا يقول لك: نعم وانتظر قدرك.. بل يقول: قم واكشف قدرك".
 - وسئل عن القومية العربية فأجاب: إني لا أعرف شيئاً عن القومية العربية، ولكني أعرف أشياء عن الوحدة الإسلامية".
 - وقال شعراً في عيد مولد النبي ﷺ:
- يا عيد مولده كم ذا تواتينا تشدو فتبهجنا، تشجو فتبكينا
قل للرسول إذا ما جئت روضته أدرك شعوبك قد حار المداوونا

وفاته:

كان - رحمه الله - قد مرض مرضاً طويلاً، واشتد عليه في سنواته الأخيرة، ومع ذلك كان دائم القول: "لا راحة للمؤمن دون لقاء الله" ولم تكن فكرة الموت تزعجه، بل كان كالمنتظر له على شوق، وقد استعد له، وأوصى بما يريد..

وكان من وصيته أن يُصلى عليه في الجامع الأزهر، مع هذه العلمى، ومرتع صباه وشبابه، وأن يُدفن بقرية "العدوة" بجوار الآباء والأجداد والإخوان والأهل..

وجاءته الوفاة وهو في المستشفى يوم الخميس، ليلة الجمعة ٩ شوال سنة ١٤١٦هـ - الموافق ٢٩ فبراير سنة ١٩٩٦م - عن عمر يناهز الستة والسبعين عاماً.

اللهم انى قد قلت فيه مبلغ علمى..
 ولا يخلو كلامى من أثر حب النولد لوالده..
 اللهم لا تكله إلى عمله..
 واشمله برحمتك يا بر يا رحيم..
 وصل اللهم على الحبيب الشفيع..
 سيدنا محمد ..
 وسلام على المرسلين..
 والحمد لله رب العالمين..

محمد خالد ثابت

الفهرس

| | |
|----------|---|
| ٣..... | تمهيد |
| ٥..... | مقدمة |
| | الفصل الأول : عن نفسه .. |
| ١١ | ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾ [يونس: ١] |
| | الفصل الثاني : عن منهج الدعوة إلى الله .. |
| ٢٥ .. | ﴿بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥] |
| | الفصل الثالث : عن البسطاء الكادحين .. |
| ٣٧ | ﴿وَمَا يَذُرُّكَ لَعَلَّكَ تَلَمَّهٖ يَرْزُقُ﴾ [مريم: ٣] |
| | الفصل الرابع : عن اهتماماته الإنسانية .. |
| ٥٣ | ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ نَحْوَكُمَا﴾ [المجادلة: ١] |
| | الفصل الخامس : عن وحدة الدين .. |
| ٦٧ .. | ﴿أَقِمْوْا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] |
| | الفصل السادس : عن قضية التوحيد .. |
| ٨٣..... | ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ﴾ [الأنعام: ١٠٢] |